الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مُحَمَّد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

أزمة المثقف في رواية "يا صاحبي السجن"

لأيمن العتوم

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

✓ لبنى بومنجل

✓ رتيبة بوخنطيط

إشراف الأستاذ:

د/ توفيق قحام

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د/ عباس حشاني	أ/ محاضر	جامعة جيجل	رئيسا
د/ توفيق قحام	أ/ محاضر	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
د/ مُحَمَّد زكور	أ/ محاضر	جامعة جيجل	ممتحنا

السنة الدراسية: 2023/2022م

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مُحَمَّد الصديق بن يحي –جيجل–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة بعنوان:

أزمة المثقف في رواية "يا صاحبي السجن"

لأيمن العتوم

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

✓ لبنى بومنجل

✓ رتيبة بوخنطيط

إشراف الأستاذ:

د/ توفيق قحام

السنة الدراسية: 2023/2022م

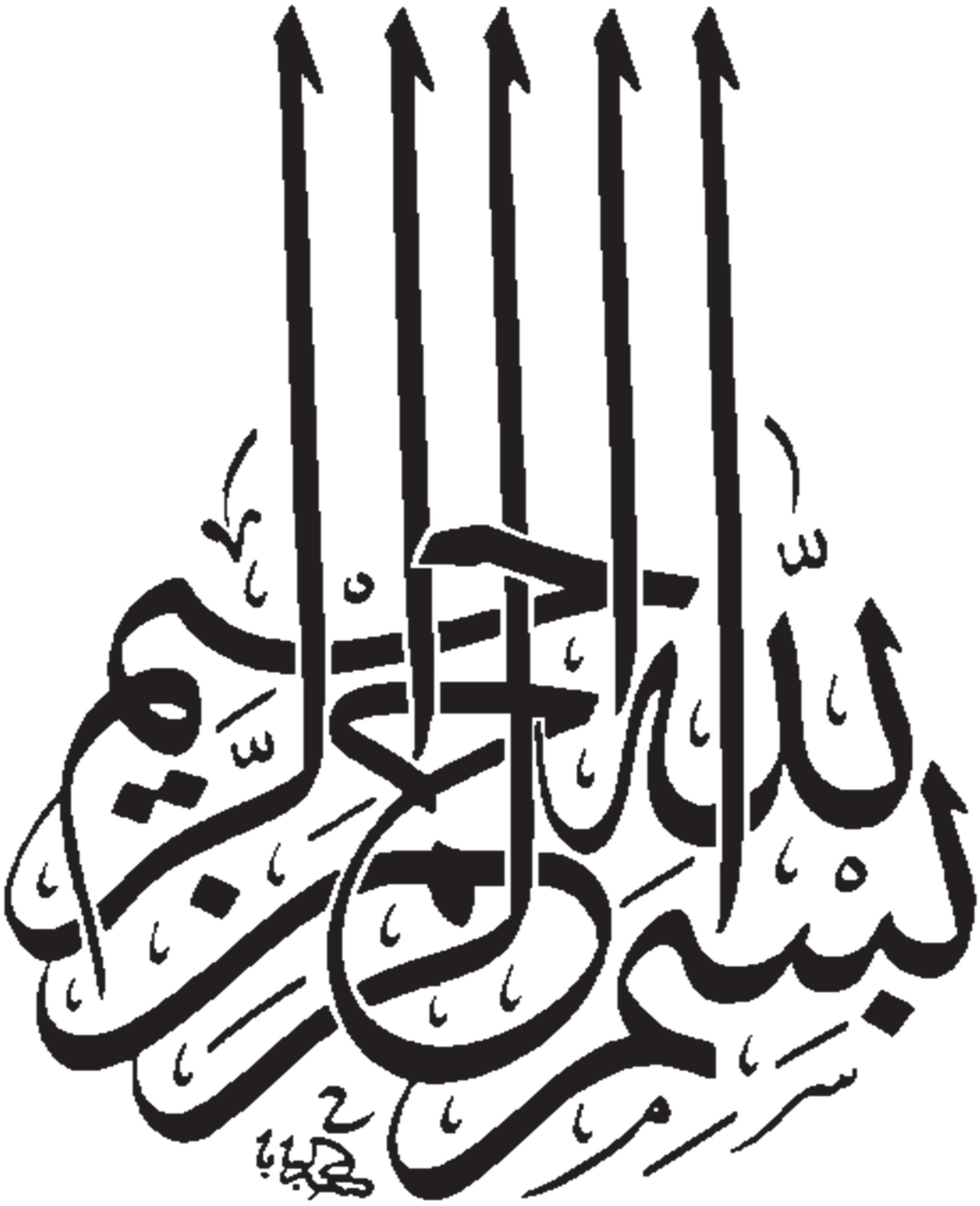
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين

اللهم لك الحمد حمدا طيّبًا مباركا فيه

نحمدك ربنا ونشكرك على أن يسّرت لنا إتمام هذه المذكرة

على الوجه الذي نرجو أن ترضى به عنا.

وبعد:

لا يسعنا إلا أن نرفع شكرنا لأستاذنا المشرف:

"الدكتور توفيق قحام"

الذي كان له الفضل الكبير في إنجاز هذا الحبث،

وعلى صبره الكبير معنا وسعة تفهمه وسمو تواضعه وعلى إرشاداته وتوجيهاته ومتابعته وتقويمه

لأخطائنا وهفواتنا...

وحثه لنا على المواصلة والمثابرة.

إهداء:

الحمد لله الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا، أما بعد:

أهدي هذا العمل إلى:

فيض الحب والعطاء بلا انتظار ولا مقابل إلى من كانت سندا في سير هذا العمل، إلى من غمرتني بحنانها وحبها وضحت من أجلي وسهرت على تربيتي وإلى الشمعة التي أنارت حياتي.

إلى **"أمي"التي** مهما قلت لن أوفي حقها وجهدها التي بدلته من أجلي **"صبيحة" حفظها الله وأطال عمرها.**

أهدي تخرجي هذا إلى أغلى الناس على قلبي الذي بفضله وصلت إلى هذه المرتبة **"أبي" رحمه الله "عمار" وجعل مثواه الجنة"**

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد والدي **أخي العزيز "بلال" حفظه الله وأطال عمره.**

إلى من تحلو الحياة بوجودهم أحبائي **أخواتي "خولة"** التي دائما بجانبي، **"عفاف"** وابنها **"جواد" وأميرة** وأبنائها **"أسيل" و"أنس".**

إلى عمي **"جمال"** وعمتي **"زهية"** وابنة عمتي **"نضيرة"** وابنها **"عبد الله".**

إلى الصديقات العزيزات التي وقفن إلى جانبي في أصعب الظروف، فكنَ عائلتي الثانية: **"إلهام"، "رتيبة"، "عبلة"، "فريال".**

إلى أستاذي الذي ساعد على سير هذا العمل **"توفيق قحام"**

لبنى

إهداء

أهدي تخرجي هذا:

إلى الذي ساندني بثقة لا متناهية، إلى الذي أنار طريقي طوال سنوات دراستي وغرس في روحي الأخلاق الفاضلة،

إلى تاج رأسي أبي "حسين"

إلى التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وجُعلت الجنة تحت أقدامها، إلى نبع الحنان والبرّ والإحسان

إلى وردة الريحان أمي "منيرة"

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد عائلتي "خطيبي العزيز" وعائلته الكريمة.

إلى جدي "رابح" أطال الله في عمره

إلى روح جدتي التي كانت لي ولإخوتي نعم الجدة رحمها الله

إلى رفيقات دربي وصديقاتي العزيزات: لبنى، عبلة، فريال وإلهام.

إلى إخوتي الأعزاء: رحمة، أمال، عماد، وسيم.

إلى عمتي وأعمامي وأخوالي وزوجاتهم وأولادهم كل بإسمه.

إلى أستاذي الفاضل "توفيق قحام" الذي كان نعم المرشد والموجه

إلى من مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة أساتذتنا الكرام.

*رتيبة *

مقـــــدمة

مقدمة:

تعدّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالواقع، فهي تعطي تصورات عنه انطلاقا من وقائع وأحداث حقيقية، كما تعتبر وسيلة للتعبير عن كل ما هو موجود في المجتمع، فمن خلالها نكتشف خصائص ومميزات فترات ماضية من حياة الأفراد والشعوب، وذلك باعتبارها تستلهم عاداتهم وحكايا حياتهم المليئة بالتحدّيات والأزمات خصوصا تلك المتعلقة بفئة المثقّفين، لأنّها فئة مهمة وفاعلة في المجتمع لها حضورها الخاص في كافة الحركات والتغيرات الإجتماعية التي تعرفها المجتمعات الإنسانية.

وقد ظهر في الساحة الأدبية كم كبير من الروايات التي عالجت موضوع المثقف والثقافة المجتمعية وأفرزت له حيّزا كبيرا، وذلك بإعتبار انّ الرواية هي وسيلة للتعبير عن صوت المثقف ونقل الوقائع والظروف التي مرّ بها هو وشعبه عن طريق كتاباته وإبداعاته، ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لرواية "يا صاحبي السجن" وذلك من أجل تسليط الضوء على شخصية المثقف في هذه الرواية وتصوير الأحداث التي عاشها والتّعرف على العلاقة القائمة بين السلطة والمثقف والأزمة التي يعيشها هذا الأخير في ظل رقابة السلطة ومدى قدرته على ممارسة إبداعه رغم القيود المفروضة عليه.

فجاء بحثنا موسوما بعنوان: أزمة المثقف في رواية "يا صاحبي السجن" "لأيمن العتوم" وقد حاولنا من خلال دراستنا الإجابة عن الإشكالية التالية:

- ما هي تمظهرات أزمة المثقف في رواية يا صاحبي السجن؟.

وتحت هذه الإشكالية اندرجت مجموعة من التساؤلات الفرعية نذكر من بينها:

- ما مفهوم المثقف؟ وفيما تمثلت صوره في الرواية العربية؟.

- ما هي خصائص المثقف؟. وما علاقته بالسلطة والمكان والكتابة؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على خطة بحث تتضمّن (مقدمة، مدخل، فصلين، خاتمة).

أشرنا في المدخل إلى مفاهيم أولية حول الأزمة، الثقافة، المثقف، أمّا الفصل الأول فكان تحت عنوان: **تمثل المثقف في الرواية العربية**، أوردنا فيه أولا توظيف شخصية المثقف في الرواية العربية، وثانيا تطرقنا إلى أنماط المثقف في الرواية العربية تناولنا فيه (**المثقف الثوري، التراثي، الإصلاحي، الناقد**)، أمّا ثالثا فتناولنا أزمة المثقف

في الرواية العربية تحدّثنا فيه عن (**المثقف والسلطة، والمثقف والمجتمع**)، ورابعا قمنا بإبراز صورة المثقف في الرواية العربية تطرّقنا فيه إلى (المثقف المنتمي، والمثقف اللامنتمي).

أمّا الفصل الثاني فكان عبارة عن دراسة تطبيقية بعنوان: **المثقف والأزمة في رواية "يا صاحبي السجن"** تطرقنا فيه إلى السير ذاتية في رواية "**يا صاحبي السجن**" ثمّ تمظهرات المثقف في الرواية، كذلك تناولنا أزمة المثقف وصراعه مع السلطة ، وأيضا أزمة المكان وتشكّل الشخصية المثقّفة في الرواية، وأخيرا تطرّقنا إلى المثقف وسلطة الكتابة في الرواية.

وقد انهينا هذه الدراسة بخاتمة كانت عبارة عن استخلاص للنتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث.

واعتمدنا في بحثنا هذا على المنهج الموضوعاتي وذلك من أجل الإجابة عن الإشكالية، كما استعنا ببعض الآليات الأخرى بما يناسب أهداف هذا البحث.

كما اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المراجع والمصادر كان من أهمها:

- شخصية المثقف في الرواية السورية لمحمد رياض وتار.
- تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث (دراسة في النقد) لمحمود محمد آملودة.
- أوهام النخبة أو نقد المثقف لعلي حرب.

كما أنّ الصعوبات والعوائق تمثل جزء لا يخلو منه أيّ بحث أكاديمي، ولهذا فقد اعترتنا مجموعة من الصعوبات نذكر من بينها:

- خصوصية الموضوع الشائك الذي يتطلب معرفة واسعة.
- غياب المصادر والمراجع الضرورية في بحثنا والذي تعذّر علينا الحصول عليها.
- نقص الخبرة والممارسة.

وفي الأخير نرجو من الله عزّ وجلّ أن نكون قد أحطنا بالموضوع إحاطة شاملة، وأن يكون هذا البحث المتواضع قد ساهم في إثراء الرصيد اللغوي للطلبة.

كما لا يسعنا إلا أن نتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور **"توفيق قحام"** على كلّ ما قدّمه لنا من نصائح وتوجيهات وما بدله من مجهودات فيما يتعلق بمسيرة البحث متمنين من المولى القدير أن يسدّد خطاه ويوفقه في مسعاه.

ولا ننسى أن نوجه شكرنا إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكبّدوا عناء قراءة هذا البحث وتقويمه، كما نشكر كل من قّدم لنا يد المساعدة في إنجاز هذا البحث.

مـدخـل:

ضبط المصطلحات

1/ مفهوم الأزمة:

يعدّ مفهوم الأزمة من المفاهيم المتداولة حديثا فهو من المصطلحات الشائعة في لغتنا، فالأزمة تدخل في نطاق حياتنا وتهدد نظامها واستقرارها، فلكل عصر أزمته الخاصة وما احتوته من عنف وشدّة.

أ/لغة: ورد مصطلح الأزمة في معجم "لسان العرب" لابن منظور بمعنى «أَزَم:الأزمُ:شدّة العضّ بالفم كلّه وقيل بالأنياب هي الأوزامُ... الأزمَةُ الشّدَّةُ والقَحطُ، وجمعها إِزَمٌ وكَبَدْرَةٍ وبَدرٍ [...] والأوزَامُ السّنُونُ الشّدائدُ كالبوازِمِ... والمتأزِّمُ: المتألّمُ لأَزِمَةٍ في مَالِهِ [...] والمأْزِمُ المضيقُ في الجبال حتى يتلتقي بعضها ببعضٍ»[1]. وعليه نتوصل إلى أنّ مفهوم الأزمة يتعدّد ويتراوح بين الشّدة والقحط والألم، والمضيق وهذه الصفات كلّهاتملك دلالة الشدة والعسر.

أمّا في معجم "العين" فقد وردت لفظة الأزمة على أنّها: «أَزَمَ: الأوزَامٌ- وواحدها آزمة ـ الأنيابُ.[وأزمتُ يدَ الرّجُل آزِمُها أَزْمًا. وهو أشدُّ العضّ. وأزَمَ علينا الدّهرُ يَأْزَمُ أَزْمًا، إذا ما اشتدّ وقلَّ خيرهُ]. وسُئِلَ الحارث بن كَلَدَةَ: ما الدّواءُ؟؟ قال: الأَزْمُ، أراد به الحمية، وألاّ يؤكل إلاّ بقدرٍ، ومعناه القبضُ للأسنان، ويقال: له أَزْمة ووزْمة ووجبة إذا كان له أُكلة واحدة في النّهار.[وتقول: سنة أزمة وأزوم]».[2]

وهذا ما يحيلنا إلى أنّ الأزمة قد تتعلق بما هو موجود في الحياة اليومية للإنسان كالمأكل والمشرب، والوقوع في الأزمة من هذا المنظور هو قلة الأكل وقلّة تناوله.

بالإضافة إلى هذا نجد أنّ صاحب معجم "محيط المحيط" وقف عند مصطلح الأزمة وعرّفه على أنّه: «أزمَ يأزمُ أزمًا وأُزومًا عضّ بالفم كلّه وترك الأكل ولم يُدخل الطّعام على الطّعام [..] وتأزّم أصابته أزمةُ أي شدّة [...] الأَزْمَةُ المضيقُ والشدّة [...] الأزومة السّنة الشديدة، المآزم من الأرض والفرج والعيش المضايقِ»[3]، وهذا التعريف لا يختلف كثيرًا مع سابقيه بحيث يُمكن القول: أنّ لفظة الأزمة تنوّعت بين الحاجة والمصيبة والأثر والضّيق وهي ترتبط بحالات ومواضيع متعدّدة منها ما يرتبط بالكائن الحي (الإنسان) ومنها ما يرتبط بالجماد (الأرض والجبال).

---

[1]- جمال الدين أبي الفضل مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مادة: أزَمَ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط04، 2007م، ص ص 100- 101.

[2]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ت ح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، لبنان، ط 01، 2003م، ص ص 67-68.

[3]- المعلّم بطرس البستاني: محيط المحيط، تح: مُحَمَّد عثمان، مج1، باب التّاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

ب– اصطلاحا:

إنّ المتتبّع لحركة مصطلح الأزمة يُلاحظ أنّه من أبرز المصطلحات المستعملة في لُغتنا اليومية، إذ يتمُّ استخدامه في شتى المجالات بمجرّد الوقوع في مصيبة، ويمكن القول أنّ هذا المصطلح يؤثّر بشكل كبير على ذات الإنسان ولهذا اتخذه الدارسون والباحثون كموضوع لأبحاثهم، ولكن يصعب علينا تحديد مفهوم واحد لهذا المصطلح لأنّ الباحثين اختلفوا حول هذا المفهوم.

– فالأزمة تُمثّل تحوّلا جذريّا في حياة الإنسان فهي تُخرجه من حالةٍ يعيشها وتُدخله في حالة أخرى، وهذا ما يولدُ بداخله اضطرابات نفسية كالقلق والخوف والرّعب وهذه الإضرابات تخلق لديه صدمة، وبما أنّ علم النفس يُعنى بدراسة الحالة النفسية والشعورية لدى الإنسان، فإنّ مفهوم الأزمة في ضوئه هي: «حالة عصبية مُفزعة ومؤلمة تضغط على الأعصاب وتشلّ الفكر وتحجب الرّؤى، تتضارب فيها عوامل متعارضة وتتداعى فيها الأحداث وتتلاحق وتتشابك فيها الأسباب بالنتائج، ويخشى من فقد السيطرة على الموقف وتداعياته»[1]. فالأزمة من هذا المنظور نوع من الإضطراب والقلق الذي يعيشه الإنسان خلال محطات حياته إثر تعرضه لمواقف صادمة، وهذا ما يشل فكره ويجعله في حالة ضياع، ما يولد لديه تضاربا في الأفكار أو اتلافا في جهازه العصبي إن لم يستطع إيجاد حل فوري لأزمته، ومن أمثلة الأزمات النفسية التي يصاب بها الإنسان: أزمة الإنتحار، اضطراب الشخصية... وغيرها.

أمّا في علم الاجتماع نجد أنّ الأزمة هي تلك التقلبات والتذبذبات التي تحدث في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، أي هي «وصول عناصر الصراع في علاقة ما إلى مرحلة تُهدّد بحدوث تحول جذري في طبيعة هذه العلاقة مثل التحول من السلم إلى الحرب»[2]، هنا يجوز القول: أنّ الأزمة تمثل بلوغ عناصر الصراع إلى مرحلة تحول جذري وقد يكون هذا التحول سببا في اللجوء إلى المواجهات العسكرية، وعليه فالأزمة هي حالة اللاإستقرار واللاتوازن التي تعترض السيرورة الطبيعية لحياة الإنسان، وقد تولّد هذه الأزمة خسارة كارثية لهذا التحول السلبي ومن أمثلة هذه الأزمات: أزمة البطالة، أزمة الطلاق، الخلافات الزوجية...الخ.

وفي الأدب ترتبط الأزمة في الكتابة الأدبية بالصراع، فهي كل نتيجة وكل حدث يقع داخل المنجز الإبداعي الروائي أو الشعري ويقتضي تشابكا في الأحداث ومواجهة بين الشخصيات، وقد تجلت هذه الأزمة بشكل كبير

[1]– رجب عبد الحميد، استراتجية التعامل مع الأزمات والكوارث، دار الكتاب الجامعي، الإمارات المتحدة، ط01، 2014،م ص20.

[2]– محمّد غالب سليقه ،إدارة الأزمات الدولية في ظل الأمن الجماعي، منشورات الحلبي الحقوقية للنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2014م، ص 34.

في الرواية المكتوبة بالفرنسية خلال المرحلة الاستعمارية وكذلك خلال مرحلة العشرية السوداء، أين شكل المستعمر هاجسا للشخصية الجزائرية ومؤثرا في الذات الكاتبة.

ومن خلال التعريفات نجد أنّ الأزمة بصورة عامة هي حدث أو موقف أو حالة غير متوقعة، فهي تمثل ناقوس الخطر الذي يهدّد مصير الأفراد والجماعات، تنتج عنها أوضاعا غير مستقرّة سواء في الشؤون السياسية أو الإقتصادية أو الاجتماعية.

2/ مفهوم الثقافة:

الثقافة مفهوم واسع وشامل، جامع يكاد يوقع الدارسين في متاهات لا مخرج لها من حيث تحديد ماهيته بشكل دقيق، فهي تعدّ عاملا مهما في تصنيف الشعوب والمجتمعات وتميّزها عن بعضها البعض، وذلك لما تحمله من خصائص ودلالات ذات أبعاد فردية واجتماعية، فتعدّدت واختلفت تعريفاتها لدى العلماء والمفكرين واختلفت عبر الأزمنة وحتى اللحظة لا زالت كلمة "ثقافة" غامضة المعنى.

وقد عرّف "مالك بن نبي" الثقافة بأنّها «مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثّر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[1]، وهذا يدلّ على أنّ الثقافة هي ذلك المحيط الذي يكتسب فيه الفرد طباعه وشخصيته، إذ أنّها تبيّن الضوابط والقيم الخلقية والاجتماعية التي ينتجها الفرد في المجتمع الذي يرتبط إلى حدّ كبير بنوع الثقافة التي تسوده.

والثقافة تعني كذلك «البحث والتنقيب والظّفر بمعاني الحق والخير والعدل، وكلّ القيم التي تُصلح الوجود الإنساني ولا يدخل فيه تلك المعارف التي تفسد وجود الإنسان، وبالتالي ليست أي قيم وإنّما القيم الفاضلة»[2]، وعليه فالثقافة تقوم على القيم الفاضلة التي تبني الخطاب الإيجابي في المجتمع، فكلّ من يحمل قيما لا تنتمي لجذور ثقافته الحقيقية لا يمكن القول بأنّه يملك ثقافة، فالفرد هو الذي يصنع الثقافة ويحافظ عليها ويطوّرها.

كما يعرّف الدكتور "صالح هندي" الثقافة على أنّها «طريقة الحياة التي يعيشها المسلمون في جميع مجالات الحياة وفقا لوجهة نظر الإسلام وتصوّراته، في المجال المادي الذي يسمى المدنية أو في المجال الروحي والفكري الذي

[1]– مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1984م، ص 48.

[2]– غادة طويل، الثقافة العربية جذور وتحديات، KB.com للنشر والتوزيع، د ب ن، 2007،م ص 13.

يسمى الحضارة»[1]، بمعنى أنّها مجموعة المعارف والخبرات التي يكتسبها الفرد في مختلف المجالات وتتداخل تلك المجالات وفق ما يقدّمه أو يمليه الإسلام.

ويرى البعض مثل: الأستاذ "عبد الطيف شرارة" أنّ «الثقافة هي ذلك النشاط الذي يقوم به الإنسان في ذاته يتوخى إصلاح نفسه وتركيز علاقاته من خارج ذاته على أساس ما يراه صالحا له...»[2]، ومعنى ذلك أنّ الفرد هو الذي يصنع الثقافة وذلك على أساس ما يراه صالحا ومناسبا له ولغيره.

من خلال ما سبق نستنتج بأنّ الثقافة اشتملت على جميع السمات التي تميز كل مجتمع عن الآخر، فهي تعتبر موروثا إنسانيا مادي أو غير مادي اكتسبه الفرد من خلال الاحتكاك والممارسة، كما أنّها ترتبط ارتباطا وثيقا بالعادات والتقاليد ومختلف المسائل والتجارب الإنسانية التي يمر بها الفرد وتستقر في نفسه وهي ما يتحول إلى قيم وأفعال يتوارثها المجتمع من جيل إلى جيل كالأعراف والقوانين التي تحكم الأفراد، أو القيم والقواعد والأخلاق التي تحدّد طبيعة العلاقة بين بعضهم البعض.

3/ مفهوم المثقف:

أ/ لغة: من الواضح أنّ العرب قديما اهتموا كثيرا بإعطاء الألفاظ مدلولاتها المعجمية ونجد من بين هذه الألفاظ مصطلح (المثقّف)، إذ نجد في المعاجم العربية أنّها لفظ مشتق من الفعل الثلاثي (ثَقِفَ).

فقد ورد في معجم لسان العرب لابن منظور تحت مادة (ث ق ف): «ثقِفَ الشيء ثقفًا وثِقافًا وثُقوفةً: حذَقَهُ، ورجلٌ ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثُقُفٌ: حاذقٌ فِهِمٌ(...)، رجل ثقْفٌ لَقفٌ إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به وقال: ثقِفَ الشيء وهو سرعة التعلم (...) وهو غلام ثقِفٌ أي ذو فِطنةٍ وذكاءٍ، والمراد أنّه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه»[3].

وفي معجم الوسيط ورد «ثقِف بمعنى ثقف الشيء أي أقام المعوّج منه وسوّاهُ، أدّبه وهذّبهُ وعلّمهُ، والثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي تتطلّب الحذق فيها»[4]، ومعناه الاستقامة والتوجيه وتهذيب الخلق وتسوية الإعوجاج.

---

[1]- صباح محمّد جاسم، مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدّياتها، مجلة ديالي، العدد 44، كلية العلوم الإسلامية، جامعة ديالي، العراق، ص 680.

[2]- عبد الله الركيبي، أحاديث في الأدب والثقافة، دار الكتاب العرب، د ب ن، د ت، ص104.

[3]- ابن منظور، لسان العرب، مج9، المادة (ث ق ف)، ص 19.

[4]- أنيس إبراهيم وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2005م، ص 98.

«والثّقافُ: حديدة تسوى بها الرماح ونحوها.

والثقف مصدر الثقافة وفعله ثقِفَ إذا لزِمَ، وثقَفْتُ الشيء وهو سرعة تعلّمه»[1].

أمّا في القرآن الكريم فقد ورد لفظ (ثقف) في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: «واقتلُوهُم حيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم وأَخْرِجُوهم مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ».البقرة 191، أي وجدتموهم.

وكذلك قوله تعالى: «فإمّا تثقَفنّهُم في الحرْبِ فشرّدْ بهم من خَلْفِهِم لعلَّهُم يذّكرُونَ» الأنفال 57. (تثقفنّهم) أي تصادفنّهم وتجِدنّهُم، ويقال ثقِفْتُه أثقَفْتهُ ثقْفا أي: وجدته وصادفته، ويقال ثقِفْتُ به، أي: ظفِرتُ به[2].

وعليه فمن خلال مجموع هذه الدلالات اللغوية التي يدل عليه هذا اللفظ والتي تتمثل في الوعي والدراية بالشيء ومدى سرعة تعلمه، يتّضح لنا أنّ المثقف في معاجم اللغة العربية هو ذلك الإنسان المستقيم الموجه للآخرين والواعي بالأشياء، والذي يتّصف بالفطنة والفهم والحدق وإمتلاك المعرفة وحسن تسوية الأشياء وجعلها مستقيمة.

ب/ اصطلاحا:

تعدّ كلمة مُثقف بمعناها الاصطلاحي الحالي من التعابير الحديثة التي دخلت إلى اللغة العربية، فهي لم تكن مألوفة أو موجودة عند العرب القدامى، حيث أثبتت الدراسات الحديثة عدم وجود هذا المصطلح في كتاباتهم بمعناها المقصود حاليا، فهم إمّا يقتربون منه أو يبتعدون عنه.

فإذا رجعنا إلى اللحظة التاريخية التي ظهرت فيها كلمة"مثقف" وشاعت في الاستعمال نجد أنّ هذا المصطلح هو «وليد قضية اجتماعية وسياسية شهيرة عرفت في تاريخ فرنسا الحديث باسم "قضية دريفوس"»[3] حيث أنّ هذه القضية المهمة قد شغلت الرأي العام في تلك الفترة من خلال دفاعهم عن الضابط الفرنسي "دريفوس" الذي حكم عليه بتهمة التجسس، فقام الأدباء والمفكرون بنشر جريدة سميت "بيان المثقفين" وهذا ما

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: داوود سلوم وآخرون، مادة (ث ق ف)، مكتبة لبنان ناشرون، ط1،2004م،ص 93.

[2]- محمود محمّد الطناحي، من أسرار اللغة في الكتاب والسنة –معجم لغوي ثقافي- دار الفتح للدراسات والنشر، السعودية، ط1، 2008م، ص 206.

[3]- محمّد الشيخ، المثقف والسلطة (دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1991م، ص 15.

أعطى لهذا المصطلح صدى كبير في الساحة الأدبية الغربية وكذلك العربية، ومن أهم التعاريف التي تناولت مفهوم المثقف في المجتمعات الغربية من منظور المفكرين والكتاب الغربيين نجد:

"ماكس فيبر" " MaksFibar" الذي يعرف المثقف بأنه «المفكر المسلح بالبصيرة»[1]، بمعنى أنّه ذلك الإنسان الذي يملك قدرة عقلية ومعرفية كبيرة في تحليل وتفسير الأمور وفهمها، وتكون له معلومات واسعة وإطلاعات في شتى المجالات.

أمّا "بارسونز" "Barsunz"فيراه «ذلك المتخصص في أمور الثقافة والفكر الحر البعيد عن أمور الحياة»[2]، أي أنّ المثقف كباحث ومفكر يكون واعي بمختلف الجوانب العلمية والحياتية والثقافية، وذلك من خلال امتلاكه لمجموعة من المؤهلات المعرفية التي تجعل منه إنسانا مثقفا عارفا بجميع المجالات والتخصصات.

كما يعطي المفكر "جاك لوكوف" "JakLukuf"تعريفا عاما وشاملا للمثقف حيث أنّه «يعتبر المثقفون الذين يشتغلون بالثقافة إبداعا وتوزيعا وتنشيطا، الثقافة باعتبارها عالما من الرموز يشمل الفن والعلم والدين هؤلاء الذين يمكن التمييز فيهم بين نواة تتكوّن من المبدعين والمنتجين من علماء وفنانين وفلاسفة وكتاب وبعض الصحفيين... يحيط بها أولائك الذين يقومون بنشر ما ينتجه هؤلاء المبدعين مثل الممارسين لمختلف الفنون ومعظم المعلمين والأساتذة والصحفيين يليهم ويحيط بهم جماعة تعمل على تطبيق الثقافة من خلال المهنة التي يمارسونها مثل الأطباء والمحامين»[3].

وبهذا فالمفكر "جاك لوكوف" "JakLukuf "يرى بأنّ طبيعة الشخصية المثقفة في المجتمع تظهر وتتحدّد من خلال دورها وما تقوم به من أعمال ومشاريع في المجتمع.

كذلك نجد المفكر "أنطونيو جراميشي" "AntuniuJaramishi" الذي قدّم تعريفا للمثقف في كتابه "دفاتر السجن" أو كما ترجمه بعضهم "مذكرات السجن" حيث وقف فيه على هذا المفهوم بعد أن قسمه إلى نوعين:«الأول يضم المثقفين التقليديين مثل: المعلمين، الكهنة والإداريين، وهم الذين يستمرون في أداء ذلك العمل

[1]– أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية– الفهرس والممارسة–، دار النشر راجعي، الجزائر، دط، 2009م، ص 25.

[2]–المرجع نفسه، ص25.

[3]– مُحَمَّد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط01، 1995م، ص 24.

نفسه جيلا بعد جيل»[1]، أي أنّ المثقفين التقليديين حسب جرامشي هم الذين يداومون على فعل الأشياء نفسها من مرحلة إلى أخرى دون تغيير وذلك لأنّ سمتهم الأساسية هي الثبات.

أمّا النوع الثاني فقد أطلق عليه اسم المثقف العضوي وهو «صاحب العقل والمفكر المرتبط بصورة مباشرة بالطبقات أو المشاريع ذات مصالح محددة، والتي توظف المثقف لتنظيم مصالحها أو في إحكام السيطرة والمزيد من السلطة وأدرج "جراميشي" ضمن هذه الفئة التقني والخبير والمتخصص».[2]

وعليه فالمثقف العضوي هو ذلك المثقف المرتبط بفئة أو طبقة معينة، المساهم في تقديم وإنتاج الأفكار التي تخدم هذه الفئة وتنظمها وتسيطر عليها، وهو أيضا صاحب الرهان الذي يراهن عليه الكاتب.

الملاحظ من خلال هذا التقييم أنّ "أنطونيو جرامشي" "AntuniuJiramishi" يؤكّد أنّ «كل أنسان يقوم من خلال مهنته بنوع من أنواع النشاط الفكري، هو مثقف يسهم في خلق رؤية للعالم».[3]

فالمثقف حسب "جراميشي" هو كل إنسان أو فرد يمارس عملا داخل مجتمعه سواء كان عملا يدويا (كالفلاح أو الحرفي...)، أو عملا ذهنيا (كالمعلم، السياسي، الكاتب....)، وهنا يمكن استحضار المثقف المبدع الذي يقدّم آراء وتصورات وفلسفة في فهم الحياة وتبرير الوجود وإثارة المتلقي، كما أنّه أراد القول بأنّ كلّ شخص له مستوى معرفي يشكل ثقافته الخاصة التي تتحوّل إلى ثقافة جماعية مع مرور الزمن مثل العادات والتقاليد والموروثات الشعبية ...الخ.

إذا فالمثقف في جوهره «هو ناقد اجتماعي، إنه الشخص الذي همه أن يحدّد ويحلل ويعمل من خلال ذلك على المساهمة في تجاوزه العوائق التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل».[4]

وهذا ما يقودنا للحديث عن المثقف كفاعل اجتماعي له دور حساس يقوم به في المجتمع الذي ينتمي إليه وذلك من خلال كونه ضمير وصوت المجتمع وامتلاكه القدرة على محاورة الواقع وتفسيره والإسهام في طرح الأفكار مع الوعي بها، فهو المحرّك الذي يدفع بالبحث العقلاني إلى الأمام وهو كذلك نتاج تاريخي، ويؤكّد "جون بول

[1]- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمّد العناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006م، ص 33.

[2]- هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 2013،م ص 21.

[3]- إسماعيل صبري عبد الله، المثقف الراهن والمأمول، ضمن كتاب: مؤنسات الثقافة، بشير خلف، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، دط، 2013م، ص 30.

[4]- محمّد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، ص 25.

سارتر" "Jun BulSartar"في قوله: «إنّ المثقف هو الشاهد إذن على المجتمعات الممزقة التي تنتجه لأنّه يستبطن تمزّقها بالذات وهو بالتالي نتاج تاريخي»[1].

أمّا مفهوم المثقف عندالعرب فقد اتخذ عدّة مدلولات لدى بعض المفكرين والكتاب ارتبطت أغلبها بالعلم والمعرفة والوعي والحقيقة.

حيث ذهب "ابن خلدون" إلى تعريفه من خلال قوله: «أنّه ذلك الإنسان الذي يدرك ويعي التعارض القائم فيه وفي المجتمع بين البحث عن الحقيقة العلمية مع كل ما يترتب على ذلك من ضوابط ومعايير، وبين الإيديولوجيا السائدة مع منظومتها من القيم التقليدية».[2]

فالمثقف هو ذلك الشخص الذي يملك القدرة على فهم واستيعاب ما يحدث في المجتمع، وكذلك البحث عن الحقائق العلمية ومحاولة فهمها من خلال ضوابط وأحكام وقوانين تكون متصلة ومرتبطة بهذه المنظومات والقيم.

أمّا "إدوارد سعيد" فقد ذهب إلى إثبات أنّ المثقف «هو ذلك الفرد الذي يتمتع بموهبة خاصة تمكّنه من حمل رسالة، أو تمثيل وجهة نظر، أو موقف، أو فلسفة ،أو رأي، وتجسيد ذلك والإفصاح عنه إلى مجتمع وتمثيل ذلك باسم هذا المجتمع».[3]

ومعنى ذلك أنّ "إدوارد سعيد" قد أضاف لنا من خلال هذا التعريف الاستعداد الفطري أو القابلية الفكرية والثقافية، فهو يرى بأنّ المثقف فرد له دور في المجتمع، له ملكة عقلية تمكنه من توضيح رسالة أو وجهة نظر أو موقف أو رأي، ويشترط على المثقف أن يمتلك صفة التمثيل؛ أي أن يقوم بتمثيل وجهة نظر ذات طبيعة معينة.

ويعتبر أيضا "د.زكي نجيب محمود" من أكثر الكتاب الذين اهتموا بموضوع المثقف وأفرزوا له حيّزا كبيرا، فقد وصفه في أحد تعاريفه «بالشخص الذي يحمل في ذهنه أفكار من إبداعه أو من إبداع سواه، ويعتقد بأنّ تلك

[1]- جون بول سارتر، دفاعا عن المثقفين، تر: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، دط، 1973م، ص 34.

[2]- مُحَّد حسن البرغشي، الثقافة العربية والعولمة، دراسة سوسيولوجية لآراء مثقفين العرب، دار الفارس للنشر، عمان، ط01، 2007م، ص 147.

[3]- عبد الرحمان بن زيد الزنيدي، المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2009، ص ص 33-34.

الأفكار جديرة بأن تجد طريقها إلى التطبيق في حياة الناس، فيكرس جهده لتحقيق هذا الأمل»، كما نجده أيضا يربط المثقف بالأخلاق والقيم من خلال قوله: «فهو الشخص الذي يروج للقيم العليا (أخلاقية أو جمالية)».[1]

وساندهم في ذلك "عبد السلام المسدي" الذي كانت له نظرة خاصة للمثقف إذ يقول: «المثقف هو الذي من خلال إقراره بشرعية السلطة يحترف النقد، ليبني الصّرح الثّقافي الذي لا يقدر الخطاب السياسي السائد أن يشيّده»[2]، وعليه فالمثقف إذن هو شخص له رصيده الثقافي ومعارفه المكتسبة التي استمدها من المحيط الخارجي وكذلك امتلاكه لملكة عقلية تمكنه من مواجهة وإعطاء وجهة نظر باعتباره صاحب معرفة ورؤية واسعة.

في الأخير يمكن القول بأنّه على الرغم من تعدد المفاهيم حول شخصية المثقف إلا أنّها سارت في مسلك واحد، حيث اعتبروا أنّ المثقف هو كل من يهتم بمجال الثقافة انطلاقا من الوعي والإدراك بطبيعة الفرد والمجتمع وكذلك التفاعل الحاصل مع المتغيرات، وهو التعريف الذي تم الوصول إليه بعدما تطور هذا المفهوم وانتشر في العالم.

[1]- زكي نجيب محمود، هموم المثقفين، دار الشروق، بيروت، دط، 1998م، ص ص 11-12.

[2]- هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، ص 38.

الفصل الأول:

تمثل المثقف في الرواية العربية

أولا: توظيف شخصية المثقف في الرواية العربية:

تعدّ الرواية أحد أهم الفنون النثرية التي عملت على نقل واقع الإنسان والمجتمع والكاتب في حدّ ذاته في شكل حبكة مضبوطة، والرواية العربية خلال نشأتها كانت عبارة عن ترجمات واقتباسات ومحاكات للروايات الغربية، لكن رغم ذلك استطاعت وخلال فترة قصيرة أن تحقق صدى واسعا في المنظومة الثقافية والأدبية المعاصرة إذ حملت الرواية العربية بين صفحاتها قصصا وحكايا مأخوذة من مجتمعها الذي انبثقت عنه «فالروائي العربي المعاصر قد أصبح – اليوم– هو المؤرخ الحقيقي للكثير من أحداث الأمة وقضاياها، من خلال شخصيات مأزومة فكريا ومهمشة اجتماعيا، ومغتربة انسانيا، وهذه الشخصيات التي تعاني وتناضل من أجل نفي عذاب الذات وتحقيق أهداف المجتمع صارت تشغل اليوم مكانة رفيعة في شرفات فنون القص».[1]

فدراسة شخصية المثقف في الرواية العربية تقتضي خطة شاملة بمختلف الجوانب الفكرية والفنية، وحتى الثقافية من أجل الوصول إلى دراسة مفصلة ومعمقة لها، وبالرغم من الأهمية الكبيرة التي تتمتع بها شخصية المثقف في الرواية العربية، إلا أنّها لم تكن من الدراسات التي نالت اهتمام الدارسين والنقاد، لأنّ المثقف العربي لم يؤت له أن يلعب الدّور الذي لعبه المثقفون الغربيون منذ "فولتير" و "روسو" إلى "سارتر" و "فوكو" «أي لم يشارك في صناعة الرأي العام وصوغ الوعي الجمعي أو التأثير في الدينامية الاجتماعية والسيرورة التاريخية».[2]

بمعنى أنّ هذا المثقف لم يمارس الدور المطلوب منه في المجتمع، فرغم قدرته على العطاء وتقديم الإضافة، إلا أنّه ظل حبيس أفكاره، كما أنّ هذا المثقف «لم يمارس الدور الذي كان يمارسه العلماء والفلاسفة في العصر الإسلامي، بمعنى أنّه لم يشكل سلطة رمزية معترف بدورها وأهميتها»[3]، أي أنّه لم يتخذ طريق السابقين من المفكرين، كما أنّه لا يمتلك القدرة على تمثيل نفسه، ولم يجسّد هموم مجتمعه، وايصال رسالته وهذا ما أدى إلى تهميشه، ومن بين الدارسين الذين تعرضوا لقضية المثقف: عبد السلام الشادلي في شخصية المثقف في الرواية الفنية العربية الحديثة بمصر 1882-1952، ومُحَمَّد رياض وتار في شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، علي حرب في أوهام النخبة أو نقد المثقف... وغيرهم، فقد درسوا مختلف جوانب المثقف الفكرية والاجتماعية، كما تناولوا في

---

[1]– طه الوادي: الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، مصر، دط، د ت ن، ص 5.

[2]– علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 03، 2004م، ص 42.

[3]– المرجع نفسه، ص 42.

دراستهم أهمية المثقف ودوره الريادي في الساحة الأدبية ومختلف مواقفه وهواجسه، وقد سعى هؤلاء المفكرين إلى جعل المثقف بطلا رئيسيا في رواياتهم، حاملا لواء الوعي والتقدم، وساعيا إلى تقديم دوره في مجتمعه.

ومن أهم المفكرين الذين كان لهم الفضل في طرح قضية المثقف ودورها في الدراسات الأدبية والنقدية "إدوارد سعيد" من خلال سلسلة من المحاضرات التي ألقاها في بيروت، والتي كانت بعنوان: المثقف في عالم اليوم حرص فيها على «إعادة تعريف المثقف، محاولا عرض نمادجه أو تعيين مهامه أو تبيان وسائل عمله وتأثيره»[1] وهذه الدراسة كانت بمثابة الإنطلاقة الأولى في التعريف بدور وأهمية المثقف داخل المجتمعات العربية.

ومن بين الروايات التي عالجت مشكلة المثقف رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل«فقد جاءت شخصية حامد في الرواية مثقفة، تحمل نزعة ثقافية وأفكار مختلفة... ومواقف اجتماعية وسياسية فهو إنسان مثقف له معرفة بالقوانين الاجتماعية والاقتصادية» [2]، كانت الشخصية المثقفة في هذه الرواية هي شخصية حامد وكانت جل الأحداث متعلقة به وبأفكاره ومبادئه.

ونجد أيضا أبطال رواية "عودة الروح" لتوفيق الحكيم أغلبهم مثقفين، حيث قدّم الكاتب في الرواية البطل كطالب مصري ترك الأهل والوطن بحثا عن العلم والمعرفة، لكنّه تصادم مع حضارة الغرب بباريس، حيث غمرته وفرضت عليه نوعا من العلاقات، فتعامله مع ذلك المحيط بأخلاقياته الشرقية لم يكن بالأمر المقبول.[3]

وفي رواية "مليم الأكبر" لعادل كامل «جاءت شخصية خالد في صورة إنسان مثقف صاحب علوم اجتماعية ومعارف فكرية وفلسفية وموقف حضاري ضد كثير من أوضاع المجتمع المصري المتخلف في الثلاثينيات»[4]، حيث حاول الكاتب تجسيد الصراعات النفسية في الضمير الداخلي للشخصية، وتقديم مبادئ المثقف عامة اتجاه مجتمعه.

---

[1]- علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، ص 45.

[2]- عبد السلام الشادلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة 1882م-1952م، دار الحداثة، دب ن، ط1، 1985م، ص 153.

[3]- مُحَمَّد رجب البارودي، شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة، الدار التونسية للنشر، بيروت، دط، 1993م، ص 12.

[4]- عبد السلام الشادلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، ص 420.

كما كتب "سهيل إدريس" رواية «"الحي اللاتيني" سنة 1954م، والتي جسّد فيها شخصية مثقفة، حيث عاش بطل الرواية صراعا بين عقله وفكره الشرقي في البلاد الأوروبية، فيظل ذلك التمزق يعتريه إلى أن يتغلب بطبيعته الشرقية على تلك الممارسات».[1]

وقد جسّدت رواية "ومرّ الصيف" لكوليت خوري كذلك شخصية المثقف من خلال البطل، وأيضا رواية "الثلج يأتي من النافذة" للكاتب "حنا مينا"، كما عكست روايات "عبد الرحمان منيف" صورة المثقف في صراعه مع الأنظمة، حيث أنّه صراع ينتهي في أغلب رواياته بانكسار هذا المثقف تحت أقدام السلطة، وهذه التمثيلات كانت إحدى أهم تجسيدات المثقف في الرواية العربية، ولعلّ القضية التي ذكرها "مُحَمَّد رجب الباردي" وهي أنّ هذا المثقف في بداياته قد طرح كبطل للرواية فحسب ولم يعبر عن واقعه تُأكِّد ذلك «فقضية المثقف لم تطرح في الرواية العربية طرحا جديا إلا منذ الستينات».[2]

فتهافت الروائي العربي على دراسة وتمثيل هذه الشخصية في الرواية إزداد بكثرة بعد ذلك، وذلك راجع إلى «اتساع هذه الفئة الاجتماعية في الواقع المعيش وتزايد دورها فيه».[3]

فالكاتب لم يعد يتّخذ من المثقف كبطل للرواية، بل كقضية تطرح وسط المجتمع بأسره لتبرز أزمة المثقفين في الوطن، فصورة المثقف في الرواية العربية بصفة عامة، عبارة عن صورة متغيّرة بتغيّر الروائيين أنفسهم واختلاف اعتقاداتهم وانتماءاتهم الفكرية «فالمثقفون من حيث المضمون في الرواية العربية متبدِّلون تبدل الإيديولوجيات والأفكار والعقائد»[4]، وذلك التغيير يكون مع اختلاف طبيعة المثقف، الذي قد يكون أستاذًا أو كاتباً أو شاعرًا أو صحفياً أو طبيباً... أو قد يمتهن مهنا عدة، متخذًا من فكر الراوي ومعرفته غذاءًا له.

في الأخير يمكننا القول بأنّ شخصية المثقف من أهم الشخصيات التي صارت تطرح نفسها بقوة في الساحة الأدبية، وخاصة في النصوص الروائية وذلك لما لها من دور في بناء الرواية وتحريك الأحداث، كذلك زرع الوعي والإدراك والفهم إضافة إلى تأويل الحياة، فحضور هذه الشخصية كان لغاية أسمى وهي قدرتها على تعرية الصراع

---

[1] – مُحَمَّد رجب الباردي، شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة، ص 12.

[2] – المرجع نفسه، ص 13.

[3] – المرجع نفسه، ص 13.

[4] – نضال مُحَمَّد فتحي، بلال كمال عبد الفتاح، أزمة المثقف في رواية بقايا الثلج لعصام الموسى، دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثالث، 2010م، ص 537.

الحاصل في الواقع والكشف عنه، وطرح قضايا المجتمع ووضع الأفكار والحلول المختلفة للمشاكل الحاصلة وذلك من خلال الوعي الذي تحمله هذه الشخصية وقناعتها بضرورة التغيير، وهذا باعتبارها صوت الأمة ولسان شعبها ،والعين التي يرى من خلالها المجتمع ما يحدث في العالم.

ثانيا: أنماط المثقّف في الرّواية العربية

ممّا لا شكّ فيه أنّ الرّواية العربية قد اتّجهت إلى معالجة مواضيع متنوّعة تخصّ القضايا الرّاهنة التي تمسّ المجتمع، وقد أعطت لقضية المثقّف وشخصيّته اهتمامًا كبيرًا، باعتبارها قضية مهمّة تعرض المشاكل التي يتعرّض لها المثقّفين في الحياة اليومية، وقد عالجت الرّواية العربية مجموعة من نماذج هذه الشّخصيات المثقّفة من بينها:

1/ المثقّف الثّوري:

تمثّل شخصية المثقف الثّوري تلك الشّخصية المفعمة بروح المواجهة والتّحدي فهو «الذي يسعى إلى تغيير الواقع، ودفعه باتّجاه مرحلة جديدة لم تكن موجودة من قبل. وانتشر هذا النّموذج من المثقّفين في المجتمعات العربية في الثّلاثينيات من القرن العشرين الذي شهد انفتاح المجتمع العربي على الغرب، وتأثّر قسم وافر من المثقّفين بالمعطيات الثّقافية والفكرية في الحضارة الغربية، ممّا أدّى إلى أن يبدأ هؤلاء المثقّفين بالتّطلع إلى إحداث تغيير جذري في البنى المكوّنة للمجتمع العربي، على غرار ما حدث في المجتمعات الغربية بعد القرون الوسطى»[1] فالمثقّف الثّوري هو ذلك الإنسان أو الشّخص المثقّف الرّافض لشتّى أنواع الظلم والاستبداد الذي يسعى إلى إحداث تغيير في بنية المجتمع العربي، والنّهوض به وتحسين أوضاعه، فهو يرى «أنّ التّغيير داخل المجتمع يمكن من خلال ثورة، ولا بديل عن الثّورة لتحقيق هذا التّغيير المنشود، ولا يوجد أي مخرج من حالة الظّلم والاضطهاد

[1] – محمّد رياض وتار، شخصية المثقف في الرّواية العربية السّورية (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999م، ص105.

السّائد في المجتمع إلاّ من خلال الخروج عن النّظام»[1]، ومعنى ذلك أنّ محاولة تغيير المجتمع والخروج من حالة الظّلم والاستبداد التي يعيشها الشّعب، يتطلّب المواجهة ضدّ السّلطة الحاكمة وعدم الخضوع للقوانين التي تخدم مصالحها الشّخصية وأهدافها الاستبدادية.

والمثقّف الثّوري هو «الذي يحافظ على مسافة نقدية، ليس من النّظام فحسب، بل من الثّورة أيضًا. فهو يملك الجرأة الكافية، ليس لمواجهة النّظام فحسب، وإنّما لنقد الجمهور أيضا، مع أنّ ممارسة النّقد الثّاني في ظرف ثوري مهمّة أصعب معنويًّا من نقد النّظام الحاكم ...»[2]، ومعنى ذلك أنّ المثقف الثّوري هو ذلك الشّخص الشّجاع الجريء الذي يتمتّع بروح المواجهة والتّحدي والنّقد دون الخوف لا من النّظام ولا من الجمهور أو الشعب.

كما أنّ المثقّف الثّوري «قد وجد عربيًّا بكثرة في مرحلة انتشار الإيديولوجيات، ولاسيّما إيديولوجيات اليسار التي عظّمت من لفظتي: ثورة وثوري، والإيديولوجيات القومية بأنواعها وحركات العسكر الانقلابية التي كانت تسمى ثورات وتنشئ مجالس قيادة الثّورة»[3].

انتشر هذا النّموذج بكثرة في الوطن العربي ومجتمعاته، حيث انطلق الرّوائيون من خلال إبداعاتهم وكتاباتهم يجسّدون ويصوّرون الحياة التي يعيشها هذا النّوع من المثقّفين ويسردون حالتهم المليئة بالآلام والآمال والطّموحات والنّجاحات والإخفاقات التي يواجهونها، ومن أمثلة الرّوايات التي تناولت شخصية المثقّف الثّوري نجد: رواية "عبد الرحمن منيف" "الأشجار واغتيال مرزوق" والتي صوّر فيها نموذج المثقّف الثّوري المتمسّك بمبادئه وقضاياه، كذلك نجد رواية "اعترافات كاتم صوت" "لمؤنس الرّزاز" التي جسّد فيها شخصية الأب المثقّف وهذا ما أكّده "رضوان

[1]- فادي علان، علي جمعة، دور المثقف في ثورات الربيع العربي وعلاقته بالسلطة السياسية، مذكرة ماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، 2015م، ص19.

[2]- عزمي بشارة، عن المثقف والثورة، مجلة تبّين، العدد 04، ماي 2013م، ص16.

[3]- عزمي بشارة، عن المثقف والثورة، ص18.

عبد الله" في قوله: «إنّ الرّزاز من خلال شخصية الأب الختيار يقتحم نموذجًا إيجابيًا للمثقّف الثّوري، الذي حاول الرّوائي العربي "عبد الرحمن منيف" الاقتراب منه في رواية "الأشجار واغتيال مرزوق"، ولكنّها هنا في نص "مؤنس الرّزاز" أكثر اكتمالا وأكثر قدرة على نمذجة نفسها، لتعبّر عن حالة المثقف الثّوري الفاعل والإيجابي في عهد الظّلام والقهر والتّصفية»[1].

وبناءًا على التّعريفات السّابقة للمثقّف الثّوري، نستنتج بأنّه كلّ شخص ثائر على النّظام والسّلطة الحاكمة وهو أيضًا كلّ متمرّد على عقيدة أو فكرة أو نظرية، محاولاً بذلك تغيير الواقع المليء بالظّلم والاستبداد من أجل النّهوض بالمجتمع وتحسين أوضاعه.

2/ المثقّف التّراثي:

المثقّف التّراثي هوذلك الفرد الذي يعمل على استحضار التّراث التّاريخي الجمعي لتحريك الواقع والحياة

كما يعرّف أيضًا بأنّه: «ذلك المثقّف الذي يتوسّل التّراث لتغيير الواقع، ويرى أنّ النّموذج الأمثل للحضارة قد أُنجز وانتهى، وأنّه من الأفضل للبشرية محاكاة الماضي ومحاولة تمثيله وإعادة تشكيله»[2]، ومعنى ذلك أنّ المثقّف التّراثي هو ذلك الشّخص الذي أعلن ولاءه وتمسّكه بالتّراث القديم، فهو يحاول أن يربط مختلف أشكال المعرفة الحديثة بالتّراث القديم، ويرى بأنّه لابدّ من الرّجوع إلى التّراث القديم، وإعادة إحياءه وتمثله عن طريق التّقليد، فهو يقدّس التّراث والماضي ويعتبره مبدأ من مبادئ الحياة.

وقد قدّم "مُحَمَّد رياض وتار" في كتابه "شخصية المثقف في الرّواية العربية السورية" نمطين لشخصية المثقف التّراثي؛ «أوّلهما نمط المثقف الانتهازي المتستّر بالتّراث، تميّز هذا النمط بالانغلاق في الماضي والتّحالف مع السّلطة

[1]- رضوان عبد الله،البنى السردية"2"نقد الرواية،دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،عمان،ط1، 2003م، ص ص365-366.

[2]- مُحَمَّد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية (دراسة) ،ص96.

ضدّ النّاس. أمّا ثانيّهما فهو المثقّف التّراثي المتمسّك بالتّراث، وتميّز هذا النّمط برفض الانغلاق في الماضي وبقراءة الماضي في ضوء الحاضر، وبالوقوف إلى جانب النّاس ضدّ السّلطة المستبدّة والمستغلّة»[1].

وهنا يمكن القول بأنّ النّمط الأوّل الذي يتمثّل في المثقّف الانتهازي المتستّر بالتّراث هو ذلك الشّخص المتحالف مع السّلطة بما يخدم مصلحته الشّخصية ومصالح السّلطة في مقابل تجاهل مصلحة الشّعب، على عكس النّمط الثّاني "المثقّف المتمسّك بالتّراث" الذي لا يتآمر مع السّلطة ضدّ النّاس لأنّ هدفه الوحيد هو خدمة النّاس والمجتمع.

من سمات هذا النّوع من المثقفين أنّه يذهب بأفكاره إلى أبعد ما يكون، ويعتني بمصير النّاس، ويواجه الواقع، كما يحاول الكشف عن المفاهيم الزّائفة والبالية التي تسود المجتمع.

3/ المثقف الإصلاحي:

هو كائن فاعل في المجتمع، يمكنه التّأثير في الوسط الذي يتفاعل معه من خلال ما يقدّمه من أفكار ومعارف وانتقادات، فالمثقّف الإصلاحي «**هو** مثقّف نقدي يظهر في مجتمعات عديدة أهمّها الرّأسمالية الدّيناميكية، ويوجّه النّقد في إطار المجتمع، فيكون هناك إمكانيات للإنتقاد والتّغيير والتّطور دون اللّجوء إلى المواجهة، بحيث تتوفّر ديناميكية في تطوّر المجتمع تسمح بالتّغيير دون ثورة. ويعتبر هذا النّوع من المثقّفين أنّ الثورة ليست حتمية، خاصة إذا كان بالإمكان التّغيير سلميًّا»[2]. ومعنى ذلك أنّ هذا المثقّف الإصلاحي يحاول تغيير وإصلاح القيم والمبادئ السّائدة في المجتمع الذي يعيش فيه، كما يسعى إلى نشر الوعي الهادف إلى التّغيير والتّطور

[1]- المرجع السابق، ص104.

[2]- فادي علان علي جمعة، دور المثقف في ثورات الربيع العربي وعلاقته بالسلطة السياسية، ص20.

بطرق حضارية وذلك من خلال إيقاف المواجهة المسلّحة والعنف ليحلّ محلّها الحوار السلمي والكتابة بالقلم مع نشر الوعي والالتزام بالعدل والمساواة.

وفي «حال تعذّر على المثقّف الإصلاحي الوقوف في وجه اندلاع الثّورة، يصبح أمام خيّارين، فإمّا أن يبقى في إطار النّظام فيتحوّل إلى مثقّف محافظ يدافع عن كيان الدولة، أو ينضمّ إلى صفوف الثّورة ليصبح واحدًا من المثقّفين الثّوريين»[1]، أي أنّ المثقّف الإصلاحي إذا لم ينجح في الدّعوة إلى الإصلاح فإنّه يصبح أمام طريقين إمّا أن يستمر في الدّفاع عن حرية وحقوق شعبه عن طريق انتقاد الثّورة ومعارضتها، وإمّا أن يقف إلى جانب الثّورة ويعدّها خطوة كبرى لتحقيق الحرية.

ومن بين الرّوايات التي تناولت هذا النّوع من المثقّفين نجد: رواية "نهاية الأمس" لـ"عبد الحميد بن هدوقة" والتي كان البطل فيها عبارة عن شخصية إصلاحية داعية إلى التّغيير والإصلاح والتّطور.

4/ المثقّف النّاقد:

المثقّف النّاقد هو مثقّف مقاوم للاستبداد بشتى أنواعه: السياسي، السلطوي، الاجتماعي، الثّقافي، الدّيني ... يتّصف بالشّجاعة والمروءة في ممارسة النّقد الذي يساهم في تطوير المجتمعات ويعالج اختلالاتها.

فهو «ذلك المثقّف الذي لا يرضى بكل ما يحدث له ولمجتمعه، ويحاول أن يفكّك المقولات والثّوابت ويعيد تركيبها وفق رؤية واعية، فهو يتمتّع بالعقل النّقدي الذي يستخدمه في النّظر إلى الأشياء والقضايا، والذي يمارسه سواء إزاء السّلطة أو إزاء المجتمع أو المجموعة التي ينتمي إليها»[2]، ومعنى ذلك أنّ المثقّف النّاقد هو المثقّف الذي يسعى دائمًا لكسر القوالب التّقليدية، والتّمرد على المألوف والعادي، وعلى السّلطات وهو دائما ما ينحاز إلى الفقراء

[1]- المرجع السابق، ص20.

[2]- هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، ص65-66.

والمهمّشين محاولاً بذلك قلب الأوضاع السّائدة في المجتمع مصرّا على تغيير الواقع، مستعملاً عقله النّقدي البنّاء في النّظر إلى الأشياء، والذي يكون إمّا إزاء السّلطة أو إزاء المجتمع الذي ينتمي إليه.

وهو أيضًا «ذلك المعارض للوضع الاجتماعي الثّقافي والمعارض للرّاهن السياسي»[1]، وهذه المعارضة لا يمكن أن تكون بصورة اعتباطية وإنّما تكون محكومة بأسس ومعايير تأهّل المثقّف النّاقد لينقد ويعارض الوضع الاجتماعي والسياسي الرّاهن.

كما أنّه شخص يتمتّع بخاصية البناء فهو يسعى إلى بناء نسق آخر وإنتاج نص جديد من نص قديم أو فكر جديد من فكر قديم، أي أنّه يتمتّع بفكر منفتح ومنتج.

ثالثا: أزمة المثقّف في الرّواية العربية.

المثقّف هو فرد اجتماعي يعيش داخل مجتمع يتأثّر ويؤثّر فيه، فهو لا يعتبر مُثقّفًا مالم يساهم في بناء ثقافة هذا المجتمع، وحتى يستطيع تحقيق مكانة داخل هذا المجتمع الذي ينتمي إليه، لابدّ له من مواجهة مجموعة من المشاكل والعراقيل والصراعات التي قد تعترض طريقه، كالصّراعات الدّاخلية التي تتكوّن مع ذاته والمتمثّلة في مدى قدرته على التّكيّف مع عادات وتقاليد مجتمعه، والصّراعات الخارجية النّاتجة عن توجيهه النّقد حول مشاكل مجتمعه وقرارات النّظام الحاكم، وهذه الصّراعات هي التي تؤدّي إلى محاصرة المثقّف وتقييد أفكاره وإبداعاته وإضمار جهوده، وهنا يصبح المثقف أمام حاجز النّظام السياسي والسّلطة التي تحاول إقصاءه وتهميشه.

وعليه فإنّ أزمة المثقّف «جاءت نتيجة أنّ المثقّف يعيش داخل مجتمع يفقد فيه كلّ متطلّبات التّعبير عن الرّأي، إضافة إلى انعدام الحوار والمناقشة والحريات الفردية وحرية الصّحافة وما إلى ذلك من شروط ومستلزمات

[1]– لونيس بن علي، إدوارد سعيد من نقد خطاب الإستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، دار ميم للنشر، الجزائر،ط1، 2018م، ص263.

وضروريات الإنتاج الفكري، وهذه الأخيرة (الأزمة) قد وصلت اليوم إلى أخطر مراحلها وذلك لأنّها بدأت تهدّد المثقّف العربي في كيانه ووجوده»[1].

فالمثقّف يكون محصورًا داخل مجتمع لا يعترف بحرية الرّأي، ولا يشجّع على الإنتاج والإبداع الفكري وذلك من خلال تقييد الآراء والإبداعات وتسييرها حسب ما يريده، وما يخدم مصالحه.

كما أنّ أزمة المثقّف قد تنتج من خلال كيفية تعامله مع إبداعه الفكري ولعب دوره الحقيقي في المجتمع وهذا ما أشار إليه "علي حرب" في قوله: «أنّها أزمة جهل المثقّفين بالواقع المراد تغييره، فضائحهم اللاّديمقراطية داخل قطاعهم الخاص، وإفلاس مشاريعهم النضالية في التّنوير والتّحرير، أو في التّغيير والتّحديث، باختصار فقدان المصداقية الفكرية وانعدام الفاعلية المجتمعية والسياسية»[2]، أي أنّ المثقّف عند فقدانه لحرية التّعبير يصبح عنصرًا سلبيًا أو عقيمًا في المجتمع وذلك لعدم قدرته على تقديم الإضافة الفكرية والمعرفية لمجتمعه.

إذن فالأزمات التي يواجهها المثقّف تختلف وتتنوّع، فإمّا أن تكون أزمة ذاتية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية ... وحتى يستطيع المثقّف تجاوز هذه الأزمات وجب توفير الجو أو الفضاء الرّحب والمناسب الذي يمكنه احتواء الإبداع والإنتاج والتفاعل، سواء مع السّلطة أو مع المجتمع من خلال مساهمته في البناء الدّيمقراطي وتطوّر المجتمع.

تنوّعت مظاهر أزمة المثقّف في الرّواية العربية تبعًا لعلاقتها بالمكوّن الخارجي المتّصل بالسّلطة والمجتمع وفكرة الصّراع ومن مظاهر هذه الأزمة نجد:

[1]- جمال محمّد طعان، المثقف والديمقراطية التعبيرية، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2002م، ص42.
[2]- علي حرب، الفكر والحدث (حوارات ومحاور)، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص136.

1-المثقّف والسّلطة:

لقد أثارت قضية المثقّف وعلاقته بالسّلطة اهتمامًا كبيرًا وواسعًا، إذ أنّه من بين أكثر المواضيع التي تناولتها الرّواية العربية الحديثة، وذلك راجع إلى الظّروف السياسية والاجتماعية التي شهدها العالم العربي، ما جعل كلّ الأنظار تنصبّ على المثقّف العربي وتركّز على الدّور الذي ينبغي عليه تأديته في ظلّ تلك الظّروف.

والسّلطة بمعناها العام «هي الحق في الأمر، فهي تستلزم أمرًا ومأمورًا، وآمرًا له الحق في إصدار أمرٍ إلى المأمور، ومأْمور عليه واجب الطاعة للآمر وتنفيذ الأمر الموجّه إليه، إنّها إذن علاقة بين طرفين مترادفين يعترف الأول منهما بأنّ ما يصدره من أمر إلى الطّرف الثّاني ليس واجبًا عليه إلاّ لأنّه صادر عن حق له فيه ويعترف الثّاني بأنّ تنفيذه للأمر مبني على وجوب الطّاعة عليه، وحق الطّرف الأول في إصدار الأمر إليه»[1]، ومعناه أنّ السّلطة هي العمود والرّكيزة الأساسية المكوّنة للمجتمع، فلا يمكن كسر وتجاوز القوانين والأسس التي تضعها وتصدرها هذه السّلطة، ولا يكون سوى على الفرد أن يخضع لهذه الأوامر والقوانين التي تضعها ويكون ذلك واجب عليه.

غالبًا ما تشكّل التّجربة الرّوائية حقلاً لظهور الصّراع الخفي بين السّلطة والمثقّف على اعتبار أنّ هذا الأخير عنصر فعّال في المجتمع، فالسّلطة تعي وتدرك بأنّ المثقّف هو ذلك المفكّر الذي يثير الأسئلة ويتبنّى القضايا والمشاكل التي يعاني منها مجتمعه، وقد لاقت هذه الجدلية اهتمام الكثير من الدّارسين والمفكرين على اعتبارها نقطة هامّة تعتري الرّواية العربية، وهذا ما أكّد عليه الدّكتور "محمود مُحَّد أملودة" في كتابه "تمثيلات المثقف في السّرد العربي الحديث" من خلال قوله «كثيرًا ما تثار قضية العلاقة بين المثقّف والسياسي، فهما يسيران في خطّين متوازيين لا يلتقيان إلاّ في أرضية التّعاطي مع الواقع، فكلاهما يريد أن يتشكّل العالم كما يفكر ويتصوّر، وكلّ منهما

[1]- نصيف نصار، منطق السلطة(مدخل إلى فلسفة الأمر)، دار أمواج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص07.

يعمل عل احتواء الآخرين، وخلق منظومة خاصة به، ويستمدّ كلاهما شرعيته بالاتّكاء على مرجعيات تاريخية وحضارية، ويشترك الاثنان في نشدان التّنمية عند التّعاطي مع المجتمع، ولكنّهما يختلفان في الوسائل ومن هنا صار لكلّ منهما مسار مغاير للآخر، يتعاركان ويتصالحان بقدر ما يخضع أحدهما للثّاني ...» [1]، ومعنى ذلك أنّ المثقّف والسّلطة يشتركان في أنّ لكلّ واحد منهما أفكار ومبادئ خاصة، وكل منهما يريد أن ينظم ويسيّر المجتمع حسب رغبته، لكنّهما يختلفان في الوسائل والأهداف التي يسعى كلّ واحد لتحقيقها فالسّلطة دائمًا ما تحاول استغلال شعبها في تسيير الأمور التي تخدم مصالحها الشّخصية، على عكس المثقّف الذي يهدف لإخراج المجتمع من قوقعة الظّلم والاستغلال الممارس من طرف السّلطة على المجتمع.

كما يرى الإيطالي "أنطونيو غرامشي" في علاقة المثقّف بالسّلطة –حسب ما ورد في كتاب غالي شكري إشكالية الإطار المرجعي للمثقّف والسّلطة– «تعبيرًا عن كتلة تاريخية اجتماعية واحدة تدور داخلها صراعات حول الخيارات الفكرية، وتفاوت النّظرة إلى الأمور، وهو ما يعبّر عن نفسه في سعي المثقّف إلى بناء سلطته الثّقافية، فيما تعمل السّلطة ومؤسّساتها على تكوين مثقّفيها وثقافتها الخاصة، يؤشّر هذا التّعريف إلى تعقّد العلاقة بين الطّرفين لكون المثقّف الحقيقي يصدر من حيث المبدأ عن نظرة نقدية للأمور وفكر يمارسه من موقع الاستقلال هادفًا من خلاله إلى تغيير الواقع، فيما تعمل السّلطة على تعزيز الوضع القائم وترسيخه ومنع التّغيير فيه، بل وتكريس القيم السّائدة والحفاظ على منظومتها»[2]، إذن فحسب "غرامشي" العلاقة بين المثقّف والسّلطة تبقى علاقة زئبقية متحوّلة تحكمها الكثير من الملابسات، فالمثقّف دائمًا يسعى إلى التّغيير وهذا التّغيير يكون جديد ومرفوض بالنّسبة للسّلطة، لأنّها دائمًا محكومة بقوانين ومحصورة داخلها، فهي لا تقبل ما يمسّ بمصداقيتها وهذا ما يجعل

[1] – محمود محمّد أملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث (دراسة في النقد الثقافي)، عالم الكتب الحديثة،الأردن،ط1،2010م ،ص51-52.

[2] – انظر:غالي شكري،اشكالية الإطار المرجعي للمثقف والسلطة (الثقافة و المثقف في الوطن العربي)،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط1، 1992م،ص43.

المثقّف أمام هواجس لا يستطيع تجاوزها من أجل التّغيير والوصول إلى مستقبل أفضل ممّا يؤدّي إلى استمرارية الصّراع بينهما.

«عند تحليل مسوغات التّصادم مع السّلطة، نجد أن جانبًا منها يعود إلى طبيعة المثقّف، ولكن الجزء الأكبر يرجع إلى ممارسات السّلطة وإلى طبيعة نظرتها للمثقّف ومحاولتها المستمرة إقصاءه كشريك لها في مقاسمة الأرضية الاجتماعية»[1]، ومعنى ذلك أنّ سبب القطيعة والتّصادم بين السّلطة والمثقّف يعود بالدّرجة الأولى إلى محاولة السّلطة إبراز ذاتها على حساب المثقّف، وذلك من خلال رفضها تدخله في الشؤون الاجتماعية، وذلك باعتباره صلة الوصل بين النّظام السياسي والمجتمع، فهو الذي يعمل على إيصال كلمة العامة إلى السّلطة، فالمثقّف دائمًا يحاول من خلال إبداعه أن يقدّم الأمور التي جهلتها السّلطة وهذا ما عبّرت عنه العديد الرّوايات التي جسّدت علاقة المثقّف بالسّلطة ومن بينها نجد: «رواية "الزّنزانة" لـ"فتحي فضل"، حيث تعاملت الرّواية مع فكرة المثقّف وممارسة السّلطة لقهر فكري على المثقّف، وأيضًا رواية "عزوز الكابران" لـ"مرزاق بقطاش" التي جسّدت نموذج للمثقّف المعارض للسّلطة والذي يقف ضدّها»[2]، إذن نجد أنّ الرّوايات قد شملت عدّة مناحي في علاقة المثقّف مع السّلطة منها المساند الذي يقف معها ومنها المعارض لها ومنها من يقف موقف الحياد.

«ولاشكّ أنّ السّلطة العربية، وكلّ سلطة تسعى لاحتواء المثقّفين واستخدامهم وسائل وأبواقًا لمصالحها ولكن هذا لا يعني أنّ كلّ علاقة مع السّلطة هي علاقة سلطوية، وليس الموقف الصّحيح من السّلطة دائمًا هو موقف القطيعة والرّفض المطلقين، فليس سياسيا جادًا من لا يسعى إلى السّلطة أو يتعامل معها بشكل أو بآخر تحقيقًا لأهدافه، ولهذا فالعلاقة مع السّلطة إنّما يتمّ تقسيمها بحسب طبيعة السّلطة وطبيعة العلاقة معها والموقف

[1]- محمود محمّد أملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث، ص54.

[2]- غنية بوحرة، المثقف والصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة لأحميدة عياشي نموذجا ،رسالة ماجستير، جامعة لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2011م-2012م، ص36.

منها ...»[1]، وهذا معناه أنّه ليس من الضّرورة أن تكون العلاقة بين المثقّف والسّلطة دائما هي علاقة تنافر وتشابك وتعارض، فهي لا تقف دائمًا في وجه الثّقافة والمثقّفين، لأنّها قد تكون في بعض الأحيان مسايرة لها، كما يمكن القول عنها بأنّها علاقة تكاملية فكلّ من المثقّف والسّلطة بحاجة إلى الآخر ولا يمكن أن نفصل بينهما ويمكن لهذه العلاقة أن تكتمل وتنجح فقط إذا كان هناك احترام متبادل بين الطّرفين وذلك من خلال توفير السّلطة الظّروف الملائمة لعمل المثقّف واحترامها لما يقدّمه من جهد وآراء، في المقابل على المثقّف ألاّ ينتقد قرارات السّلطة ولا يقدّم ما يمس بمصداقيتها.

ومن خلال ما تقدّم يمكن القول بأنّ العلاقة بين المثقّف والسلطة أخذت عدّة أوجه فهي لا تكون محصورة في طرف واحد فقط بل تختلف، فهي إمّا أن تكون "علاقة إيجابية" من خلال مسايرة المثقّف للسّلطة وخدمة مصالحها وعدم مخالفتها فيما تهدف إليه وتسخير نفسه للدّفاع عن كلّ ما يمسّ بمصداقيّتها، وإمّا أن تكون هذه العلاقة هي "علاقة معارضة"، حيث أنّ المثقّف يكون ضدّ السّلطة وآراءه لا تساعد في خدمة مصالحها الشّخصية وغالبًا ما تكون هذه العلاقة المعارضة غير دائمة، وذلك لأنّ السّلطة سوف تدلج هؤلاء المثقّفين وفقًا لما يخدم مصالحها الشّخصية، أمّا العلاقة الأخيرة هي "علاقة العزلة" التي يكون فيها المثقّف بعيدًا كلّ البعد عن السياسة والسّلطة، فلا يقدّم ما يخدمها وما يضرّ بها أي أن كلّ منهما منفصل عن الآخر.

2-المثقّف والمجتمع:

إنّ العلاقة بين المثقّف والمجتمع هي علاقة جدلية، فكلّ منهما يؤثّر ويتأثّر بالآخر، فالمثقّف يتأثّر بما يحمله المجتمع من قيم وسلوكيات سلبية كانت أم إيجابية، كما أنّ الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مجتمع

[1]- محمود أمين الزاوي، أربعون عاما من النقد التطبيقي(البنية والدّلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة) ،دار المستقبل العربي، القاهرة، دط، 1994م، ص327.

ما تؤثّر على معتقدات وتبلور تفكير المثقّف وذلك باعتباره فردًا من المجتمع، فمن الصّعوبة تصوّر تشكّل مثقّف من فراغ بل هو نتاج ظروف معينة تمرّ وتؤثّر عليه بقوة، فالمثقّف مشدود للواقع الذي يحيط به.

المثقّفين في الوطن العربي «يشكّلون فئة أو شريحة اجتماعية متميّزة، ويتمثّل هذا فيما يحملونه من أفكار وما يقومون به من أدوار وما يؤذونه من وظائف، وينعكس تأثير ذلك على المجتمع وديناميات الحياة السياسية والاجتماعية عامة، لكن هذا لا يعني أنّهم يمثّلون طبقة اجتماعية قائمة بذاتها»[1]، إنّ ما يميّز المثقّفين في الوطن العربي هو ما يقومون به من وظائف لخدمة المجتمع وقيادته إلى الأمام في محاولة لتطويره وتغييره إلى الأفضل.

فنجد أنّ "إدوارد سعيد" «يصف المسافة بين المثقّفين والمجتمع بأنّها قريبة، فلا مجتمع دون مثقّفين، ولا يتصوّر وجود إنسان دون مجتمع يسيطر عليه، فاللّغة التي يتحدّث بها والقومية التي ينتمي إليها كلّها تشدّه إلى مجتمع معيّن له ظروفه ومشاغله ووضعيّته التّاريخية، ليصبح السّؤال الأهم: إلى أيّ مدى يصبح المثقّفون خدّام هذه الوضعيات، وإلى أيّ مدى يكونون أعدائها»[2]، فهذا لا يمنع وجود مثقّفين ظلّوا بعيدين عن مجتمعاتهم، منشغلين فقط بأمورهم وقضاياهم الشّخصية واكتفوا بدور المتفرّجين إزاء ما يحدث في مجتمعاتهم وكأنّ قضية أمّتهم لا تعنيهم.

يقول "أنس صابع": «أنّ هناك عدّة رقابات على المثقّف أقساها ليست الثقافة السياسية، بل الرّقابة الاجتماعية وهذا لا يمنع وجود رقابات أخرى، وقد تكون أقسى من الرّقابة السّمِيّة، أو عل الأقل أصعب من التّحليل عليها وتجاوزها، فهناك رقابة المؤسسة غير الرسمية، وهي رقابة المجتمع التي تمارسها جهات نافذة في المجتمع كالعشائر والطّوائف والأحزاب السياسية بل أصحاب المؤسسات الخاصة، ولعلّ أبشع هذه الرّقابة أو تلك، رقابة

[1] – إسعاف حمد، المثقف العربي وإشكالية الدور الفاعل، مجلة جامعة دمشق، م30، ع03-04، 2014م، ص359.

[2] – محمود محمّد أملودة، تمثيلات المثقّف في السّرد العربي الحديث (دراسة في النقد الثقافي)، ص48.

الإنسان الدّاخلية التي يمليها عليه ضميره أو شعوره بالمسؤولية»[1]، أي ليس بالضّرورة أن يكون تأثير المجتمع على المثّقف محصورًا بتحديد القوانين والاتّجاهات التي يجب على المثقّف سلوكها، فقد يمارس المجتمع على المثقّف دورًا سلبيًّا من خلال ممارسة الرّقابة السّلبية عليه، والتي قد تكون أحيانًا أصعب وأقسى من رقابة السياسة، ومن هنا قد يحدث تصادم بين المثقّف والمجتمع وتبدأ مشاكل المثقّف مع المجتمع ومن ثمّ يتواجه معه.

ويظهر نمطين من المثقّفين بوضوح في علاقتهم مع مجتمعاتهم، فهناك الموالون دون تحفّظ، وهناك الرّافضون دون استثناء، وما بينهما كمّ كبير من التّقسيمات، وساحة واسعة من التّجاذب والتّنافر الشّديدين، حتى يبدوا المثقّفون عمومًا على طرفي نقيض، فإمّا أنّهم ضدّ المعايير السّائدة، وإمّا أنّهم بطريقة ما توفيقية في أساسها موجودون لتوفير النّظام والاستمرارية في الحياة العامّة، فمن خلال هذا نلتمس أنّه متى نجح المثقّف في مواجهة سلبيات المجتمع استطاع التّأثير والتّحكم فيه وإحداث تغيّرات على مستواه[2].

إنّ للطّبقة المثقّفة أو الواعية دور هام في بناء المجتمع، حيث يقول المفكّر الإيطالي "غرامشي" أنّ «الكتلة البشرية لن تتميّز ولن تصبح مستقلة بفعل ذاتها من دون تنظيم بالمعنى الشّامل، وليس هناك تنظيم بلا مثقّفين»[3] وهنا يتّضح بأنّ عملية إنتاج الأفكار لها علاقة بالمجتمع، فهو المحرّك الأساسي لها وهو الذي يقيّم هذه المعرفة ويعطي لها أهمية داخله، وقد يجعلها عنصرًا لخدمته.

وهناك مجموعة من الرّوايات التي تناولت شخصية المثقّف وبصورة خاصّة علاقته بالمجتمع وكلّ ما يحدث داخله من تغيّرات وتطوّرات، من بينها رواية "عصفور من الشرق" لـ"توفيق الحكيم" التي كان البطل فيها عبارة عن شخصية مثقّفة معبّرة عن أفكار وآراء الرّاوي في ذاته، والتي يحاول من خلالها إصلاح مجتمعه والتّعبير عن قضاياه.

---

[1]- زكي العليو، المثقّف مدافل التعريف والأدوار، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، ط1، 2009م، ص96.

[2]- محمود محمّد أملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث (دراسة في النقد الثقافي)،ص49.

[3]- جيوفري نويل سميث، كينتين هور، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، تر: فاضل جتكر، دار كنعان للدراسات والنشر، سوريا، ط1، 1991م، ص233.

فالفرد المثقّف يحمل مسؤولية كبيرة في الحياة الاجتماعية والسياسية، فهو يشكّل شريحة متميّزة داخل المجتمع بسلوكه وأفكاره، «هو الفاعل الاجتماعي المتعاطي مع الأفكار التي تخصّ الشّأن العام، والذي يدلي بآراء مصاغة بألمعية حول القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية»[1]، إذن فالمثقّف إن لم يقدّم آراء وأفكار حول القضايا التي تخصّ مجتمعه، فإنّه لم يتأثّر بما يحدث داخل هذا المجتمع من ناحية الأوضاع السياسية والاجتماعية والثّقافية والاقتصادية التي يعيشها وطنه، ولذلك فإنّ نتاجه الفكري قد لا يكون له فاعلية وأهمية داخل هذا المجتمع الذي ينتمي إليه.

وفي الأخير يمكن القول بأنّ المثقّف جزء لا يتجزّأ من المجتمع، وحتى يتمكّن من إحداث التّغيير في هذا المجتمع لابدّ له من البدء بنفسه ثمّ المجتمع حتى يظهر أبطال جيل جديد يساهمون في تغيير الأوضاع السّائدة في المجتمع وقيادته نحو التّغيير والتّطور، فالمثقّف دائمًا هو عنصر إيجابي في هذا المجتمع الذي ينتمي إليه.

رابعا: صورة المثقّف في الرّواية العربية.

امتازت الرّواية العربية منذ ظهورها بتجسيد ثنائية "الآنا" و"الآخر"، وطرح الجدل القائم بينهما منذ الأزل عبر مجموعة من الرّؤى والصّور المتقابلة سواء أكانت إيجابية أو سلبية وحتى الشّرق والغرب، الذّكورة والأنوثة التّقدم والتّخلف ... وقد طغت هذه الثّنائية في الأعمال السّردية العربية انطلاقًا من الشّعور بضياع الهوية، لتبدأ في البحث عن ذاتها المفقودة أمام الآخر المسيطر عالميًا، والذي يشكّل وجوده ضرورة في حياة الأنا، فالتّعارف والتّعايش مع الآخر من سمات الإنسان كونه كائن اجتماعي لا يستغني عن وجود الآخر الذي يعتبر من أهم شروط إثبات الذّات وتحقيق وجود فعّال لها داخل المجتمع، من خلال الانتقادات والدّعم المقدّم من الآخر، وهذا ما يجعلها ذاتًا مثقّفة لها دورها في بناء المجتمع الذي تنتمي إليه، وهناك أيضًا ذات أخرى مثقّفة ولكن تكون بعيدة كلّ البعد عن الواقع الاجتماعي والسياسي ويطلق عليها بالمثقّف اللامنتمي.

[1]– سعد محمّد رحيم، المثقف الذي يدس أنفه (مقاربات في مفاهيم الأنسنية)، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط1، 2016م ،ص11.

1-المثقّف المنتمي (الأنا):

يعتبر مصطلح "الأنا" من المصطلحات التي يتعذر ويصعب تحديد مفهوم جامع لها، لأنّ البحث فيها دقيق ومتشعّب يستعصي التّعريف الاصطلاحي الواحد، وذلك لأنّ دلالاته متعدّدة ومن بينها: «هي الذّات subject، وما تحمله من مظاهر وخصائص ثقافية أو نفسية أو إيديولوجية، وما تشتمل عليه من أفكار وآمال وطموحات وصراعات وتوتّرات ...»[1]، فالأنا هي مجموعة من السّمات والخصائص التي تتميّز بها الذّات والتي تنقسم إلى نوعين، إما أن تكون سمات داخلية لا يمكن ملاحظتها بالعين المجرّدة، أي أنّها تكون باطنية كالوعي والتّفكير، أو قد تكون خارجية يمكن أن يلاحظها الشّخص كالشّكل والمظهر، وطريقة الأكل والملبس كما أنّ «الأنا هي جملة من السّمات المتوارثة التي تُكوّن ثقافة الفرد في مجتمعه، والتي يسعى جاهدًا للتّأصيل لها والحفاظ عليها، وذلك لأن الذّات أو الأنا هي مركز شخصيّتنا وإنّها لا تنمو ولا تفصح عن قدرتها إلاّ من خلال البيئة الاجتماعية، وأنّ الشّعور بالأنا لدينا لا يبرز دون أن يكون مصحوبًا بذوات الآخرين الذي يعدُّ شرطًا في معرفة الأنا لنفسها ومعرفتها لذات الآخر كذلك»[2].

إنّ الكثير من المثقّفين كانت لهم فاعلية في هذا المجتمع فأفكارهم ساهمت في رقي وتطوّر المجتمع من خلال إبداعاتهم الفكرية وآرائهم الشّخصية لأنّها تعبّر عن كلّ ما يجول في خواطرهم، إذن فالمثقّف المنتمي لا يعبّر فقط عن ذاته وإنّما يجسّد ويعبّر عن تجارب الجماعة وعن مشاكلهم الاجتماعية التي يعيشونها، فهو ينتمي إلى هموم النّاس والمعرفة والوجود دون أن يكلّفه أحد بذلك، فهو يصنع هويته الخاصّة بوصفه مثقّفًا منتميًّا وملتزمًا بقضايا مجتمعه أو أمّته محاولاً الارتقاء به إلى وضع أفضل ممّا هو عليه.

إنّ المثقّف هو جزء لا يتجزّأ من المجتمع، لأنّه عنصر منتمي إليه وهذا الذي يجعله لا يخرج عن نطاقه فتكون كلّ أفعاله وتصرّفاته محصورة في تقديم الخدمة لهذا الفضاء الذي يشغله، فيحاول تقديم كلّ ما يساعده، كما يعمل على حمايته من كلّ من يحاول كسره وتحطيمه، وقد تناولت العديد من الرّوايات شخصية المثقّف المنتمي إلى أرضه والمدافع عنها بشتّى الوسائل والطّرق، وهذا ما نجده في الرّواية الجزائرية "اللاز" لـ"الطاهر وطار" والتي تناولت

[1]- سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1، 1430هـ-2009م، ص7.

[2]- محمّد الخباز، صورة الآخر في شعر المتنبي (نقد ثقافي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص23.

شخصية مثقّفة آمنت بقضيّتها المتمثّلة في تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي مدافعة عن حقّها في استرجاع أرضها، والمتمثّلة في شخصية البطل "زيدان".

كما أنّ المثقّف المنتمي «هو ذلك المثقّف الإيجابي الذي يسمح لنفسه بالاحتكاك بطبقات مجتمعه والمساهمة في إخراج أفراد هذا المجتمع من براثن الظّلام والفساد ومن سيطرة الإيديولوجية الزّائفة»[1]، فهذا النّوع من المثقّفين مثقّف نظالي يدافع عن القيم الأخلاقية والثّقافية التي تسود مجتمعه، ويقف في وجه السّلطة من أجل إخراجه من حلقة الظّلم والاستبداد، فيكون المثقّف عنصر مساعد لأفراد مجتمعه، حتى وإن كان الأمر هو مواجهة السّلطة في حدّ ذاتها، فهدفه ليس الوقوف في وجه القوانين والأنظمة التي تضعها السّلطة، وإنّما هو يحاول أن يسلك الطريق التي يرى فيها مستقبلاً أفضل لمجتمعه ليكون متماسكًا ومتطوّرًا، ولذلك فهو يقف في وجه كلّ من يحاول كسره.

2-المثقّف اللاّمنتمي (بين جدلية الأنا والآخر):

يشكّل الحديث عن الآخر في الأدب العربي الحديث والمعاصر جزء من حديثنا ونظرتنا لأنفسنا، وهو يمثّل تيمة ذات مكانة بارزة نظرًا لارتباطه الجدلي بالأنا، كما أنّ صورتنا لذاتنا تستلزم حضور الآخر، إذ لا يمكن عزلهما عن بعضهما البعض.

وقد وردت عدّة تعريفات لمصطلح الآخر من بينها: «الآخر هو الطّرف المقابل للذّات كما نفهم أيضًا أنّ ثمّة تلازم بينهما»[2]، ومعنى ذلك أنّ وجود الآخر شيء ضروري لوجود الأنا، ومن خلال حضور الآخر يمكن للذّات إدراك الاختلاف والنقص الذي يعتريها.

وعُرِّف الآخر أيضًا على أنّه: «بنية لغوية رمزية لاشعورية تساعد الذّات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذّات ومقابل لها هو ما يطلق عليه الآخر»[3]، ومعنى ذلك أنّ الآخر هو ذلك الفرد المختلف والمتميّز عن غيره دينيا وفكريا واجتماعيا وثقافيا، والذي يساعد الذّات على تحقيق وجودها وإدراك ذاتها.

---

[1]- غنية بوحرة، المثقف والصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة لأحميدة عياشي نموذجاً، ص28.

[2]- فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسة نصية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1433هـ-2012م، ص33.

[3]- حارش نسيمة، التمثيل الثقافي للآخر في كتابات الجاحظ، مجلة آفاق العلوم، جامعة الجلفة، العدد العاشر، جانفي 2018م، ص262.

يوجد كثير من المثقّفين كانت إبداعاتهم بعيدة كلّ البعد عن الواقع الذي كانوا يعيشونه، فأنكروا كلّ ما يتعلّق بقضايا مجتمعهم وذلك لعدم قدرتهم على مواجهة الواقع، فنجدهم يهربون من السّلطة ويتركون قضايا وهموم المجتمع وينعزلون عن الحياة، ويهتمّون بأنفسهم فقط، وقد اختلفت تسميّة هذا النّوع من المثقّفين، حيث أنّ هناك من أطلق عليه المثقّف اللامنتمي، في حين اعتبره آخرون مثقّفًا هروبيًّا، ويتّضح ذلك من خلال ما أشارت إليه "سماح إدريس"، «المثقّف الهروبي في العادة رجل حزين، فالمثقّف السياسي الذي يصمّ أذنيه عن المظالم لإيمانه بأنّ العين لا تقاوم المخرز وبأنّ الأنظمة جميعها لا تستحقّ إلاّ الكره أو الرّثاء يهرب من الوجع الجسدي»[1]، يشير هذا القول إلى أنّ المثقّف المنتمي هو مثقّف هروبي أو منسحب يحاول التّملص والتّراجع من الدّفاع عن واقعه، ومحاولته تجاهل الأوضاع السّائدة في مجتمعه خوفًا من مواجهة السّلطة.

كما يمكن الإشارة إلى أنّ «الكثير من الرّوائيين طرحوا في رواياتهم شخصيات مثقّفة معزولة وأوضحوا أنّ عزلة هذه الشّخصيات هي نوع من الاحتجاج على سيادة الظّلم في المجتمع. ومن الملاحظ أنّ هذه الشّخصيات المثقّفة اللاّمنتمية تنحدر من البورجوازية الصّغيرة، وكأنّ الشّخصيات المثقّفة الأخرى التي تنتمي إلى الطّبقات الأخرى في المجتمع لا يمكن –بحسب رأي المؤلّفين– أن تكون لامنتمية ومعزولة»[2].

وقد تطرّقت مجموعة من الرّوايات إلى تجسيد صوّر ونماذج للمثقّف اللامنتمي، إذ تناولت رواية "وادي الظّلام" لـ"عبد الملك مرتاض" صورة لهذا النّموذج المثقّف من خلال شخصيته المتمثّلة في "المعلم"، وذلك من خلال وصفه «بأنّه معلّمًا مثقّفًا نشيطًا مجتهدًا، يعمل على نشر الوعي والثّقافة ومؤسّس جمعية حقوق المرأة في مجتمع غيّبت فيه حقوق المرأة ...، لكنّه سرعان ما يصطدم بقوة أكبر منه ... إذ يحاول الإرهابيون إطلاق النّار عليه، لكنّه ينجو من الموت بأعجوبة، وهذه الحادثة تعتبر نقطة التّحول في حياة الأستاذ (...) ويتحوّل من بطل فاعل إلى بطل سلبي لا يهتم إلاّ بنفسه، يُبدّل قيّمه القديمة بقيّم جديدة قيّم المرتزقة الذين لا يعتنون إلاّ بالمصالح الذّاتية لهم (...) فأوّل ما يفعله ترك مهنة التّعليم»[3]. وهذا يدلّ على أنّ المثقّف يمكن أن يتنازل عن نشر أفكاره ويتخلّى عن أهدافه وطموحاته اتّجاه مجتمعه خوفًا على حياته.

---

[1]– سماح إدريس، المثقف العربي والسلطة (بحث في روايات التجربة الناصرية)، دار الأدب، بيروت، ط1، ص138.

[2]– مُحَمَّد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية ، ص127.

[3]– سعاد عبد الله العنزي، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2010، ص ص48-49.

كما نلمس أيضًا في رواية "بخور السراب" لـ"بشير مفتي" صورة لهذا المثقّف اللاّمنتمي الذي يغرق في بحر العزلة «أمّا عن شخصية البطل في رواية بخور السراب فقد كان يعيش اغترابًا داخل وطنه وبين أهله، ينبذ الكلّ حتى والده (...) يرفض الخوض في المسائل السياسية أو المشاركة في أي حزب، ولا يرغب حتى في إبداء رأيه فيما يحدث حوله، وقد أعلن حياده لا انتمائه»[1]، فالمثقّف في هذه الرّواية هو مثقّف لا منتمي بعيد عن الواقع، اختار عدم التّجريب أو الانخراط في أيّ حزب أو منظمة أو تجمّع أو توجّه إيديولوجي أو تيار، فهو يتّصف بالحياد والموضوعية.

إنّ هذا التّمثل المتعدّد لشخصية المثقّف (المنتمي واللامنتمي) إنّما يوحي بتعقّد الحالة الفكرية للشّخصية وبتشعّب الصّراع الحاصل على مستوى الجماعة، فالمثقّف هنا فكره هو الذي يوجّهه ويقوده إلى الهدف الذي يحاول الوصول إليه، فيحاول نقل الفكرة التي تجول في خاطره إلى الآخر، والتي قد تُواجه بالرّفض أو القبول من طرف الجماعة، وعليه فالإبداع هو الذي يقود المثقف إلى أن يكون مثقف منتمي أو غير منتمي للجماعة أو قد يقف موقف حيادي لا يمُدُّ بالصّلة للطّرفين.

[1]- غنية بوحرة، المثقّف والصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة لأحميدة عياشي نموذجا، ص29.

الفصل الثاني

المثقف والأزمة في رواية "يا صاحبي السجن"

لأيمن العتوم.

أولا: السير ذاتية في رواية "يا صاحبي السجن"

تعدّ الرواية شكلا من الأشكال السردية التي فرضت نفسها في الساحة الأدبية، باعتبارها تلامس الحياة الإنسانية بمختلف تحولاتها، ولعلّ أبرز القضايا التي تناولتها الرواية هي قضية معاناة الإنسان ذاته وكذلك التعبير عن تجاربه الواقعية المختلفة، وإدراك المثقف لهذا الواقع هو ما جعله يحاول عرض تجاربه الشخصية من خلال الكتابة الذاتية أو ما يعرف بالسيرة الذاتية.

كما أنّ الكتابة الذاتية تعدّ سمة مهمة في بناء العمل الروائي، والمقصود ةبالذات الكاتبة هو هيمنة السيرة الذاتية على الرواية، فتصبح تتمحور حول حياة السارد أ, المؤلف، وهذا حسب ما صرّح به الكاتب الفرنسي "فيليب لوجون" "philippelejeune" في قوله: «فلكي تكون هناك سيرة ذاتية –وأدب شخصي بصفة عامة–يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف والسارد والشخصية»[1]، ومعنى ذلك انّ شخصية الراوي تكون هي نفسها شخصية البطل في الرواية.

وإبراز الكاتب لذاته في النص الروائي يدل على أنّه يسرد سيرته الذاتية ويحكي عن فترة أو فترات من حياته الخاصة، أو تجاربه الواقعية التي عاشها، وذلك بهدف لفت انتباه القراء إلى قضية اجتماعية معينة، أو التعرف على شخصية من الشخصيات والاقتداء بها وأخذ العبرة من تجاربها، وعليه فالسيرة الذاتية تعرف بأنّها «حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز في حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة»[2]، ومعناه انّ السيرة الذاتية ليست إلا شكلا من أشكال السرد يحكي فيه صاحبه تفاصيل من حياته، أو تفاصيل من تجارب مرّ بها، معتمدا على أسلوب راقي من اجل التأثير في القارئ وإقناعه بصحة الأحداث وواقعيتها.

وما يجب علينا الاعتراف به هو أن لا وجود لفرق بين السيرة الذاتية ورواية السيرة الذاتية (أو رواية السيرة) فهذا المصطلح يأخذ عدّة صيغ وتسميات ولكنّها كلّها تشير إلى مضمون واحد.

---

[1]– فيليب لوجون، السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1994، ص 24.

[2]– المرجع نفسه، ص 22.

كما نجد الدكتور "جابر عصفور" يعرّف رواية السيرة الذاتية فيقول: «هي الرواية التي تنطوي على حياة كاتبها، بعضها أو كلّها كاشفة له دلالة إنسانية عامة بواسطة التجسيد العيني لأحوال هذه الحياة في تفردها الشخصي»[1]، بمعنى آخر هي تلك الرواية التي تسرد الحداث والوقائع التي مرّ بها الكاتب خلال مرحلة من حياته.

وهذا ما تبيّن لنا في رواية "يا صاحبي السجن" التي كانت عبارة عن سيرة ذاتية استعاد فيها الكاتب "أيمن العتوم" تجربته الخاصة داخل السجون الأردنية، وذلك من خلال وصفه الدقيق للأماكن والشخصيات التي صادفها هناك والأحداث التي عاشها داخله، حتى يقنع القارئ بمصداقية الأحداث والوقائع التي صوّرها في هذا القالب السردي، لذلك نجد أنّ الرواية تحتوي على علامات واضحة تجسد الذات الكاتبة وتؤكّد على انّ هناك تطابق وتقاطع كبير بينها وبين شخصية البطل، وقد ظهر ذلك من خلال توظيف الكاتب لإسمه الحقيقي وهو ما تطابق مع اسم البطل في الرواية وهذا ما يؤكّده في قوله: «...إسمك؟ أيمن العتوم!!... نعم وبكل فخر!!»[2]، لعلّ أن استعمال الكاتب لاسمه الحقيقي في الرواية هو أكبر دليل على أنّ الرواية هي عبارة عن سيرة ذاتية تحكي عن تجربة عاشها الكاتب وهي تجربة دخوله إلى السجن.

كذلك نجد الكاتب في الرواية يروي قصته بصيغة ضمير المتكلم "أنا" وهو الذي هيمن على بنية الخطاب من بداية الرواية إلى نهايتها، وقد مثّل هذا الضمير الذي يعبّر عن الكاتب شخصية محورية في الوقت ذاته تقدم نفسها منذ البداية بأنّها على دراية ومعرفة بجلّ أحداث الرواية، وبذلك صار السارد أو الراوي هو البطل، وهذا ما يبدوا واضحا جليا في الرواية في قوله «العاشرة مساءًا من زمن الأحلام المسفوحة، وأنا أجلس فوق حصير الألم»[3]، وقوله أيضا «أمّا أنا فلم أتوقف عن تمارِيني، ولا كنّي بدّلت السّرير الذي أركّز تحت قوائمه رجليّ...كان شعوري بالانتصار على ذاتي لا يوصف!!...بدأت علامات الشّحوب تبدوا على محياي»[4]، فالراوي استعمل ضمير المتكلم "أنا" لكي يوضّح للقارئ بأنّ هذه الأحداث والوقائع التي يرويها ليست إلاّ أحداثا تعبر عن تجربته الشخصية.

كما توجد دلائل كثيرة تدل على أنّ الراوي بضمير المتكلم "أنا" هو الطاغي على الرواية لأنّه يتكرّر في أغلب صفحاتها من البداية إلى النهاية ونذكر من بينها قول الكاتب «جلستُ أنا وعكرمة ذات مرّةٍ... لنلعب... وقد

---

[1]– ممدوح فراج النّابي، رواية السيرة الذاتية في مصر (دراسة في التأصيل والتشكيل)، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط01، 2011، ص 63.

[2]– أيمن العتوم، يا صاحبي السجن، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط02، 2013، ص 45.

[3]– الرواية، ص 14.

[4]– الرواية، ص 204- 205.

تمدّدت أنا على طرف السّرير متيحا لنفسي أقصى درجات الراحة»[1]، كذلك قوله «كان يبدو أنّني سأذهب إلى البحر وحيدا... وأنا متشوّق إلى لقائهما من القدم... رحتُ أحُثُّ الخُطَا... رحتُ أتأمّل اشتعال النار» [2]. ومازال هناك الكثير من الأمثلة في الرواية لكن المقام لا يسعنا لذكرها جميعا ولذلك نكتفي بهذا القدر.

ومن خلال كل هذا نرى بأنّ صيغة المتكلم استطاعت أن ترسخ هيمنة الكاتب على بنية الرواية كا استطاعت أن تكشف لنا عن أفكاره وأرائه وذلك «بوصفه بؤرة الحكي وسيرورته، فالسارد هو الذي يكّوّن العالم المروي من خلال رؤيته، وهو في الوقت نفسه تلك الشخصية المتحولة، سواء في انتقالها الزمني أو عبر شبكة من العلاقات العامة...»[3]، ومعنى ذلك أنّ هذا الضمير كان له الدور الأكبر في سيرورة الأحداث في الرواية.

وما يؤّكد أيضا على أنّ الرواية هي رواية سيرة ذاتية إشارة الكاتب إلى كثير من التجارب المعروفة في حياته حيث نجد أنّه يصف لنا كل ما مرّ به بدءا من طريقة القبض عليه من طرف أفراد الأمن حتى خروجه من السجن وهذا ما يوضحه في قوله «أحاط بي إثنان منهم، وتوجّهوا بي إلى سيارة المخابرات... أجلسوني بين فردين من أفراد الأمن في المقعد الخلفي... كانت المسدسات تستقرّ على جانب كل شرطي، وأنا قابع بين مسدّسين»[4]، فالراوي يصف لنا كيفية القبض عليه ووضعه في سيارة الأمن وإحاطة أفراد الشرطة به كأنّه مجرم خطير مطلوب لدى العدالة كذلك نجد أنه يصوّر لنا حالة الزنزانة التي تمّ وضعه فيها ويصفها وصفا دقيقا وذلك من خلال قوله «كانت زنزانة فريدة من نوعها؛ إذ لم تكن غير سرير معدني يأكل نصف مساحتها، البالغة مترين عرضا، وثلاثة طولا،... وعلى السرير استقرت بطانية واحدة»[5]، فالسّارد يصف لنا الزنزانة بالتدقيق وذلك لكي يعرّف القارئ بأنّه صاحب هذه التجربة،وأنّه عايش الأحداث بنفسه، فهي أحداث واقعية

عبّر عنها الكاتب عن طريق الكتابة االسير ذاتية، وذلك لأنّها «تعبّر عن النشاط الذهني والنشاط العلمي في حياة الإنسان من خلال "نشاط لغوي" الأمر الذي يجعل من السيرة الذاتية "قصة حياة" نرويها للآخرين»[6] فالرواي يعبّر عن التجربة التي مرّ بها عن طريق فعل الكتابة وبذلك تصبح عبارة عن قصة يسردها للآخرين بهدف

---

[1]– الرواية، ص 173.

[2]– الرواية، ص 315.

[3]– عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود (السيرة الذاتية في المغرب)، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000، ص 138.

[4]– الرواية، ص 18.

[5]– الرواية، ص 23.

[6]– عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، مصر، دط، 1992، ص 27.

لفت انتباه القراء إلى قضية اجتماعية معيّنة وأخذ العبرة منها، أو بنية تعريفهم على حياته الخاصة أو كسب تعاطفهم ونيل الشهرة من خلالها.

أيضا نجد الكاتب يتحدّث عن طبيعة الأكل الذي كان يقدّم له في السجن ويظهر ذلك من خلال قوله: «الحارس الذي دخل مشى خطوتين ثقيلتين، ووضع أمامي صينية صغيرة...تركني مع فطوري: قطعة خبز صغيرة وبيضة مسلوقة ولا شيء آخر»[1]، وكذلك قول الراوي: «أمسكت بحصتي من الطعام؛ كانت شوربة خضار ساخنة...وصحن أرز طُبِخ كما لو أنّ كلّ حبّة أعدت على حدة من شدة إتقانه»[2]، وهذا التصوير الدقيق يدل على أنّ الراوي قد عاش هذه الأحداث وخاضها خلال مرحلة من مراحل حياته وهو الآن يقوم بنقلها إلى القراء من أجل أن يستفيدوا منها.

كذلك نجد أنّ الكاتب قد تطرّق إلى وصف بعض الشخصيات التي تعرف عليها خلال فترة بقائه في السجن وصورها تصويرا دقيقا موضّحا ذلك من خلال قوله «الأول الذي على يميني كان ذا لحية سوداء تضربها الحمرة لتميل بها إلى الشقرة، وشعره كثّ، يرجعه إلى الخلف، نحيلا، عيناه كلون زيت الأرض المقدّسة قبل أن يحول عليها الحول صوته دافئ فيه نغمة رفيفة، ...يحمل شهادة الماجستير في الشريعة، واختار له أبوه اسم: علي».[3]

وأيضا قوله «الثاني، بدا نحيلا، ضئيل الجسم، أسمر الوجه، مجعّد الشعر عيناه سودوان شهلاوان، ولحيته المنتشرة على مساحة الوجه تغطّي ثلاثة أرباعه، ذا فم صغير، إذا تحدّث بانت أسنانه، وشيء من لثته الحمراء...اختار له ذووه إسم، عكرمة».[4]

وعليه فالكاتب "أيمن العتوم" قد قدّم لنا وصفا دقيقا لأغلب الشخصيات في الرواية، وهذا دليل على أنّه كان يعرفها وقريب منها وعاش معها لحظات من حياته ولذلك برع في وصفها سواء من حيث الشكل أو من حيث الصفات.

وما يؤكّد أيضا على أنّ الكاتب كان يروي سيرته الذاتية هي تلك الذكريات التي كان يؤنس بها وحدته ويداوي حزنه وألمه داخل السجن، وذلك على اعتبار أنّ هذه الذكريات هي جزء لا يتجزّأ من حياة الإنسان لأنّها

---

[1]– الرواية، ص 29.
[2]– الرواية، ص 43.
[3]– الرواية، ص 69.
[4]– الرواية، ص 69.

تعبّر عن ماضيه الذي لم يبق منه إلا الذكريات فتكون هي مصدر للسعادة وتقوية العزائم والهمم من أجل المضي قُدمًا في الحياة، وهذا ما يؤكّد عليه "مُحَمَّد الباردي" في قوله «أنّ فعل الكتابة في هذا الجنس الأدبي هو فعل استحضار الذكريات، واستعادة لماضي بعيد، فهو فعل عسير، ولكنّه يبعث ضربا من اللّذة الفنية، لا تتوفر في مجالات إبداعية أخرى (...) إنّها قراءة لسجل حياة لم تبقى منها إلا الذكريات»[1]، فالذكريات هي التي تجعل الإنسان قويا قادرًا على محاربة الهموم ومواجهة المشاكل، كما أنّ لها طابع في حياة الإنسان يبعث على البهجة والسرور والصّبر أيضا.

وهذا ما اتّضح مع الكاتب في الرواية حيث راح يسترجع ذكرياته مع والدته وذلك من خلال قوله «أنظر إلى قلب أمي قبل دخول غرفتي... قلب الأمّ زهرة لا تذبل»[2]، وقوله أيضا في موضع آخر من الرواية «كانت امّي حاضرة كشتلة ياسمين... وظلّت أمي تمدّ لي يدها طوال فترة السّجن... وظلّت واقفة إلى جانبي...روح أمي ظلّت تصنع حولي هالة من السكينة»[3]، فالراوي قد غرق في بحر ذكرياته مع أمّه وذلك من أجل التخلص من وحدته القاتلة داخل السجن،كذلك تذكّر عائلته بأكملها والمتكونة من أمه وابيه وإخوانه وأخواته، وتخيّلهم بجانبه وهذا ما جعله يشعر بنوع من القوة والسعادة والصبر على محنته وهذا ما يتبيّن من خلال قوله في الرواية «استحضرت العائلة بأكملها... أبي وأمي وإخواني واخواتي، جلسوا من حولي بدتْ طيوفهم ملائكية تنضح بالنور»[4]، إنّ الكاتب يعمل على استدعاء واستحضار بعض المواقف و الذكريات الغائبة للأهل من أجل أن ينعم بنوع من الراحة والسكينة وذلك من خلال قدرته على التخييل، ويؤكّد الراوي على ذلك بقوله «أنا شاعر بسيط يحاول أن يبتلع آلة الزّمن ليرجع بذاكرته إلى الوراء قليلا...»[5]، أي انّه يحاول أن يعود بذاكرته إلى الوراء من أجل ملئ فراغه ومواساة وحدته.

وفي الأخير يمكن القول بأنّ رواية "يا صاحبي السجن" هي عبارة عن سيرة ذاتية جسّد فيها الكاتب تجربته الشخصية، وعبّر من خلالها عن واقعه المظلم داخل السجون الأردنية، وقد حاول أن يُضَمِّنَ فيها جميع التفاصيل المتعلقة بحياته والمراحل التي مرّ بها، من خلال سرده المتسلسل للأحداث التي عاشها هناك ووصفه للشخصيات التي صادفها، كما حاول تمثيل الواقع والمزج بين المتخيل والواقع في صورة فنية سردية راقية ومتماسكة، كما ذهب بالقارئ إلى اكتشاف الآمال والآلام التي تعاني منها بعض الشخصيات خاصة تلك التي تنتمي إلى الفئة المثقفة والتي سعى من خلالها إلى تعرية الواقع وفضح المسكوت عنه.

---

[1]– مُحَمَّد الباردي، عندما تتكلم الذات (السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2005، ص 61.

[2]– الرواية، ص 14.

[3]– الرواية، ص 118.

[4]– الرواية، ص 28.

[5]– الرواية، ص 7.

ثانيا: تمظهرات المثقف في رواية "يا صاحبي السجن" لأيمن العتوم

يعد المثقف من أهم فئات المجتمع لما يحمله من قوة تأثير في تغيير الواقع وإصلاحه، فهو لسان حال شعبه وأمته، حيث انه يسعى الى معالجة القضايا والمشاكل التي يعاني منها مجتمعه، فهو «يمثل العقل الواعي والضمير المتميز بها حسُ الاستقرار والاستنباط، لأنه يمتلك إمكانية كبيرة وديناميكية مؤثرة تتيح له إيجابية التعامل مع المجتمع وهو الكينونة المتحركة كذات واعية تتأثر وتتفاعل وتؤثر في نهاية المطاف»[1]، أي بفضل علمه وثقافته يفترض أن يكون يقظا حاضرا دوما في المجتمع على دراية بكل ما يحدث بداخله، يستطيع أن يعبر عن طموحاته وأفكاره دون قيود تمنعه، كما أنه يتمتع بالحس الإدراكي والوعي والقدرة على الفهم والاستيعاب والتأويل، فالمثقف هو ذلك العنصر الفاعل والمدرك لقضايا معينة تفسر لحظات معينة وقيم ومشاهد محددة في الحياة، وهنا يمكن القول أن كل إنسان مثقف بالمستوى الذي يمكنه من فهم المحيط أو المجال الذي ينشط فيه.

وتعتبر رواية "يا صاحبي السجن" من النماذج الروائية التي اشتغلت على استحضار هذا النموذج الفاعل والمؤثر في المجتمع والوجود من خلال أنواع المثقفين الفاعلين والمساعدين على استيعاب المكونات الثقافية الفردية والجماعية حاول الكاتب من خلالهم تلخيص فترات ومشاهد متعددة ومعقدة في الحياة، وهنا نجد:

1/ المثقف المبدع:

يمثل الإبداع حالة عقلية بشرية يتمتع بها الفرد، فهي تنحو نحو ابتكار شيء جديد قد يحدث تغييرا في حياة الناس أو المجتمع، أو هو النقد الذي تقدمه فئة من المثقفين حول القوانين والأوضاع السائدة في المجتمع، فإبداع المثقف يتعلق بطبيعة علاقته بمحيطه وواقعه، وقد كانت الكتابة السبيل الوحيد للمبدع الذي وجد فيه ضالته للتعبير عن واقعه المعاش وتصوير الوقائع والأحداث التي تحصل في المجتمع، كما أنها تمنحه القدرة على إبداء رأيه بحرية.

إن الإبداع ليس محصورا ضمن مكان أو زمان معين فحسب بل هو طاقة داخلية يمتلكها الفرد المثقف أو المبدع تجعله يعبر عن كل ما بداخله عن طريق الكتابة باعتبارها من أرقى المستويات الثقافية والمعرفية، وهذا ما يتضح من خلال قول "أيمن العتوم" في روايته يا "صاحبي السجن" « وكأن الحالة الشعورية داء خفي يمزق جوارح المبدع فإذا الكتابة شفاء هذه الحالة، أليست الكتابة شفاء؟!! وكأن الكاتب يحمل آلام الأفكار الثقيلة في حسه ووجدانه، وتظل

[1]: هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة،رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013،ص 61.

تهيج به وتقلقه، فإذا ولدها أصابته الراحة الكبرى»[1]، ومعنى ذلك أن الإبداع أثر شعوري، فالكاتب يصفه بأنه مرض والكتابة هي دواءه وشفاؤه الذي يشعر من خلاله المثقف بالراحة والطمأنينة فهي « ملاذٌ تحتمي فيه الذات من عفونة الواقع وتردي مستوى الحياة»[2].

كما أن الإبداع لا يكون مقيدا بالحرية الشخصية للفرد وهذا ما نجده مع البطل في الرواية الذي على الرغم من الظروف الصعبة والمعاناة التي كان يعيشها داخل السجن، كذلك حالته النفسية الصعبة والمتأزمة، إلا أنه لم يتخلى عن شغفه في الكتابة والقراءة والإبداع، "فأيمن العتوم" كان يرى بأن الإلهام الذي كان يأتيه عند تأليف وكتابة قصائده هو ملاك يزوره ويتضح ذلك في الرواية في قوله: «وأخيرا زارني ملاك الشعر»[3].

كان الراوي في السجن يفتقد لأبسط وسائل الكتابة ويحن لامتلاكها حتى ولو لفترة قصيرة، حيث كان لا يسمح لأي معتقل في الزنازين أن يمتلك قلما أو أوراقا وذلك لأنها تعتبر جريمة يعاقب عليها السجين أشد العقاب وهذا ما أكده الكاتب في قوله « لم يكن مسموحا لأي معتقل في الزنازين أن يحمل قلما ولا ورقة...ولا ساعة...ولا أي شيء يعينه على تمضية الوقت»[4]، وفي موضع آخر نجد أيضا قوله « آه القلم...كان مفتقدا عزيزا...وكان أكبر غائب منتظر...لم أدرك أهمية القلم ولا قيمته إلا عندما عز الحصول عليه... لم أفهم أن القلم سر الحياة الأولى...»[5] فالكاتب يرى بأن القلم هو سر الحياة وهو نعمة من الله لابد لنا أن ندرك قيمتها وأهميتها في حياتنا، فبواسطته يستطيع ممارسة إبداعاته وإطلاق العنان لقصائده، فكان الكاتب يتمنى بشدة أن يحصل عليه من أجل أن يكتب ما يجول في ذهنه ويعبر عن حزنه وألمه في ذلك السجن، فالقلم هنا يوحي بالكتابة والتحرر والتعبير عن الذات والوجود وكذلك المواجهة والتحدي ، فعلى الرغم من افتقاد الكاتب للقلم إلا انه لم يتخلى عن ممارسة أعماله الإبداعية فراح يسأل نفسه من خلال قوله «قصيدتك هنا في الزنزانة (67) أين تكتبها؟! على صفحة ذهني، أجبتني. وكيف تحفظها؟! دعنا نفكر في طريقة ناجعة...ماذا لو كتبت في ذهني بيتين، وأعدتهما مرتين لأحفظهما...ثم أنتقل إلى

[1]: الرواية: ص ص54،55.

[2]: محمد معتصم، الرؤية الفجائعية في الرواية العربية نهاية القرن العشرين، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان،ط1، 2004،ص144.

[3]:الرواية،ص54.

[4]:الرواية،ص 39.

[5]:الرواية، ص39.

كتابة بيتين آخرين على صفحة ذهني... وبهذه الطريقة كتبت القصيدة الأولى وحفظتها»[1]، فالكاتب هنا لم يستسلم للقيود التي واجهته وحاولت قتل موهبته بل كانت حافزا ليبدع أكثر.

كما اتخذ من الحائط ورقة له، وأصابعه قلما ليكتب به أشعاره ويظهر ذلك من خلال قوله « وقفت ووجهي إلى الحائط، أمسكت إصبعي كقلم... ورحت أخط بعض الأبيات...لا قلم...لا ورقة...لو كان القلم لكتبت على يدي»[2]، فهو يرى بأن الكتابة هي جزء من كيانه، فهو لا يستطيع التخلي عنها ومستعد لفعل أي شيء من أجل تدوين قصائده، فالكتابة بالنسبة إليه مثل الدم الذي يجري في عروقه، فشغفها عنده يزداد يوما بعد يوم.

فرغم تواجد البطل في السجن إلا أنه استطاع أن يصنع لنفسه مساحة من الحرية وعدها فضاءا رحبا وواسعا وذلك من خلال الكتابة والقراءة ويتضح ذلك من خلال قوله «كانت قراءاتي هروبا مني إلي، وكانت خروجا من عالم السجن الكريه إلى عالم الفكر الفسيح، بل كانت انتصارا للحرية على القيد»[3]، فالقراءة تشعره بالحرية وتخلصه من الضجر والفراغ الذي يعيشه في السجن، فكانت بمثابة الرفيق الذي يؤنس وحدته، وكالطعام الذي يشبعه، واللباس الذي يحميه من الحرارة والبرد وهذا ما وضحته الرواية في قول الكاتب «نعشق فنقرأ!! نجوع فنقرأ!! يباغتنا الحرمان فنهرب للقراءة، ويأكل الندم أصابعنا فنعيد ترميمها بتقليب صفحات كتاب استبقيناه في ذاكرة حلوة لم تطل المكوث»[4]، فالراوي يرى بان القراءة والكتابة هي نصفه الثاني الذي يكمله ويحس به ويسد النقص الذي يعتريه، فهي وسيلته للتعبير عما يختلجه من أحاسيس، وهي التي تحقق له الراحة والهدوء والسكينة وتخلصه من الكآبة وتشعره بالطمأنينة وهذا ما نجده في قوله «أقاوم الكآبة بالنظر إلى صفحة واحدة، يكفي أن أرى سطورا مبهمة تتناثر في مدى الرؤية لأشعر بشيء من الطمأنينة»[5]، فالإبداع لدى الراوي هو البلسم الذي يداوي به جراحه والدواء الذي يشفيه من مرضه وهذا ما يوضحه في قوله« أليست الفكرة ألما، والتعبير عنها بلسما؟ بلى»[6]، ومعنى ذلك ان الفكرة ترتبط بالشعور والحقيقة، فرغم شعور الكاتب الحزن والألم من خلال تلك الظروف المزرية التي يعيش تحتها داخل زنزانته الانفرادية إلا أن الكتابة والقراءة تبقى هاجسه ووسيلته التي يعبر بها عن ما يختلجه من أحاسيس سواءا كانت تعبر عن الفرح والسعادة أو الحزن والتعاسة ونجد ذلك في قول الكاتب «شعور الراحة بعد الكتابة شعور أصنفه في الدرجات

[1]: الرواية،ص 54

[2]: الرواية، ص53.

[3]:الرواية، ص240.

[4]: الرواية، ص 285.

[5]: الرواية، ص285.

[6]:الرواية، ص55.

الأولى من المتع الحسية وكأن الحالة الشعورية داء خفي يمزق جوارح المبدع، فإذا الكتابة شفاء هذه الحالة»[1]، فالكتابة بالنسبة إليه هي التي تولد لديه شعور الراحة، فهو لم يتخلى عن القراءة والكتابة حتى وهو داخل السجن حيث كان يقرأ كتب التفسير والدين والسيرة النبوية، كما لم يتوقف عن تأليف القصائد فقد كان يؤلفها ويعرضها على السجناء وكأنه يعرضها على فئة من المثقفين تعي جودة الشعر وتقيمه وذلك لأن همه الوحيد هو إلقاء شعره، وقد وضح ذلك في قوله في الرواية «ألقيت قصائدي كما لو كنت ألقيها على حضرة النخبة من المثقفين والأدباء والكتاب والصحفيين»[2].

من خلال ما سبق يمكن القول أن الكتابة الإبداعية هاجس نفسي يؤرق الكاتب أو المبدع ويحرك فيه قوة داخلية وطاقة إنتاجية تدفعه نحو البحث عن مخرج لها من خلال فعل الكتابة ومجابهة الظلم والقهر والفساد، فالتعبير هو طريقة للتداعي بمفهوم "سيغموند فرويد" يساعد المبدع على التخلص من العقد والطاقات الشعورية الكامنة في النفس وهذا ما لخصه لنا "أيمن العتوم" في روايته عندما وظف الراوي المولع بالكتابة.

2/ المثقف المعارض:

المثقف المعارض هو الشخصية المطالبة بالتغيير والدعوة إلى الإصلاح وحرية الرأي والفكر، «وهو الذي يعلن الصدام والقطيعة مع السلطة، ويرفض التعامل معها والارتباط بها احتجاجا وثورة على تكرسه من تبعية وتقليد»[3] يقوم موقفه على الرفض والمعارضة، ويكون في حالة مجابهة ومواجهة لكثير من الأحكام السلطوية التعسفية التي تفرضها السلطة على المثقف وعلى المجتمع ككل، وهذا مالا يتقبله المثقف ويعمل على مواجهته، فيؤدي دورا فكريا وأخلاقيا لخدمة مجتمعه وشعبه وثقافته، فالمثقف دائما يبحث عن رؤية مناسبة لتغيير الحياة والتعبير عنها بهدف التأثير والحوار والإنتاج والتواصل وكذلك تحسين الأوضاع السائدة داخل المجتمع، حتى ولو كان ما سيفعله يعارض قرارات السلطة والنظام الحاكم.

وهذا ما تناوله الراوي في روايته "يا صاحبي السجن" التي قدم فيها صورة للمثقف المعارض والمناهض للسلطة الذي قام بمعارضة السلطة والتحدث عن بعض قراراتها الظالمة والخاطئة، وذلك من خلال القصيدة التي ألقاها في "قلعة عجلون" في تلك الأمسية الشعرية التي دُعي إليها والتي اتهم على إثرها بإطالة اللسان، والتمرد والتطاول على

[1]: الرواية،ص 54.

[2]:الرواية، ص 157.

[3]: ابراهيم رماني، إضاءات في الأدب والثقافة والإديولوجيا، دار الحكمة للنشر، الجزائر، دط، 2009،ص 393.

السلطة، وبذلك يتلقى ردا عنيفا من السلطة التي واجهته بإدخاله إلى السجن ومحاولة تحطيم طموحاته وإفساد مخططاته الفكرية والأدبية، التي كان من بينها طموحه في إكمال دراسته والسعي إلى خدمة وطنه وتقديم الأفضل له.

فالكاتب يقر ويفتخر بأن حبه الشديد لوطنه هو الذي أوصله الى السجن ويتضح ذلك من خلال قوله «أنا شاعر يحب وطنه وهذا الحب أوصله إلى هنا!!!»[1]، فهو يرى بأن جنايته تمثلت في تعلقه الشديد ومحبته لوطنه وسعيه الى تغيير الحياة فيه نحو الأفضل، ولكن رغم ذلك هو لم يتخلى عن هذا الطموح ويظهر ذلك من خلال قوله في الرواية، «دخلت لأحفظ تضاريس وطني، دخلت لكي أستطيع رسم خارطة بلادي على جدار القلوب الميتة»[2]، وهي لغة قوية وموجبة تعبر عن علاقة المثقف بالوطن.

فالبطل في الرواية كان مثال المثقف الحقيقي الواعي بمصلحة مجتمعه والرافض لأساليب السلطة وقراراتها الظالمة فقد كان حريصا على التعبير عن صوت الجماعة من خلال قصائده وإبداعاته، التي من خلالها بدى رافضا ومناهضا للأوضاع السائدة في المجتمع ، ونجد في الرواية العديد من الأقوال التي تبين ألم الشاعر ومعاناته في إيصال صوت شعبه حيث يقول « فمنذ أن احترفت الشعر واحترقت بلهبه المقدس، وكان صوت بكائي يرافقني أكثر مما يرافقني إيقاع غنائي، ولك أن تسمي غنائي –إن كان موجودا يومها– بكاء بلون الحرقة»[3]، فقد اتخذ الكاتب من قصائده سبيلا عن التعبير عن معاناة شعبه وإيصال صوته إلى السلطة الحاكمة، وهو ما جعله من المعارضين الذين استهدفتهم السلطة وطبقت عليهم عقوبات، لأن الشعر أصبح تهمة والتعبير عن الرأي جريمة في نظرها، وهذا ما حدث مع بطل الرواية الذي عبر في شعره عن معاناة شعبه واحتياجاته في قوله « وابتدأ الإيقاع عن لحن الجوع والفقر في قصيدة "يوميات مواطن" ولعل الشعور بالجوع يورث النقمة لدى بعض المترفين، أو لعلك ترتكب جريمة، حين تفتح عيون المتخمين على واقع الجوع والفقر والتهميش »[4]، وبذلك كان مصير البطل السجن ومحاولة تجريده من إبداعاته من خلال محاولة إقناعه بالتخلي عن آرائه التي بثها في القصيدة والتي ألقاها في الأمسية الشعرية بقلعة "علجون" مقابل إطلاق سراحه وهذا ما يتضح منن خلال الرواية في قوله «وقع على ورقة أن هذه الأشعار لا تقصد بها ...و...و...؟!!ربما تخرج من هنا»[5]، إن كل معارض ومقاوم للقرارات والقوانين التي يفرضها الحاكم سيواجه مضايقات ومتاعب توصله غلى حد الجنون وسيتلقى مصيره، وهذا ما تطابق مع الراوي الذي نجده يتحدث في الرواية

[1]: الرواية،ص 23.
[2]: الرواية، ص14.
[3]: الرواية، ص8.
[4]: الرواية، ص8.
[5]:الرواية، ص47-48.

عن الظلم والقهر الذي ألحقته السلطة به وذلك من خلال قوله في الرواية « لا أكاد أصدق أهذا جزاء من يدافع عن وطنه»[1].

كما جسد لنا "أيمن العتوم" مصير المثقف المعارض للنظام والحكم السلطوي حيث قام بالتصوير الدقيق للحالة التي وصل إليها بسبب التعسف والظلم وكذلك الاستهزاء الذي تلقاه وعاشه في السجن، ويتضح ذلك من خلال قوله في الرواية « قال لي بلهجة استهزاء واضحة: خذ، تستطيع الآن أن تنشد: السجن جنات ونار..., وأنا المغامر والغمار... ثم ابتسم ابتسامة باهتة,,,، أدهشتني قدرته على السخرية»[2]، فقد عملوا على إطفاء شخصيته القوية وحاولوا تحطيم ثقافته وعلمه من خلال منع كل وسائل الكتابة في السجن من أقلام وأوراق وهذا ما ورد على لسان "أيمن العتوم" في الرواية من خلال قوله « وقفت ووجهي إلى الحائط أمسكت إصبعي كقلم...ورحت أخط بعض الأبيات ...لا قلم... لا ورقة...لو كان القلم لكتبت على يدي...الممنوعات من هذا النوع تستفزني»[3]، وبالتالي فهذا هو الأداء الذي تقدمه السلطة لكل معارض ورافض لسياستها وقراراتها، فكل مثقف يريد الصمود والنجاح في مسيرته الثقافية والأدبية يجب عليه الاتجاه نحو الطريق الذي يرسمه الحاكم فإذا اتبع خطواته كان له ما يريد، أما إذا كان عكس ميولات ورغبات السلطة سيكون مصيره الإقصاء والسجن والتعذيب وحتى القتل، وهذا ما كان مع أيمن العتوم الذي حاولت السلطة تجريده من قصائده التي كانت تنقل واقع الشعب وتعارض قرارات الملك، وإقناعه بالتخلي عنها وكتابة قصائد أخرى وبذلك سيضمنون له الشهرة ويحضى بدعم الملك والنظام الحاكم وهذا ما نجده في الرواية في قوله « الشعر الذي يأتيك بالمصائب، لماذا تكتبه؟ هذا الشعر يذهب بك إلى الدواهي»[4]، ونجد أيضا ما يوضح ذلك في الرواية من خلال قول الضابط "لأيمن العتوم" «اكتب قصيدة في عيد ميلاد...وسيقام من اجلها احتفال كبير، وستداع على التلفاز في كافة المحطات الإذاعية والصحف...وستصبح مشهورا...»[5]، فقد حاولت السلطة إغراء المثقف البطل بالمال والشهرة مقابل تخليه عن إبداعاته وقصائده التي تعارض الملك وتنقل قراراته التعسفية الظالمة.

لم يكتف البطل بالقصائد التي ألقاها خارج السجن بل اتخذ منه منبرا يواصل فيه رفضه وتمرده متمسكا بموقفه وقضيته وثابتا على مبادئه وهذا ما نجده في قوله « اقتضت الخطة أن أسترجع في ذاكرتي القصائد السياسية الملتهبة ذات النقد الواضح والتهكم البين على الحكومة...وعندما حان دوري للحديث، كنت ألقي أقسى القصائد هجوما

[1]:الرواية،ص126.
[2]:الرواية،ص 22.
[3]:الرواية،ص53.
[4]:الرواية،ص 45.
[5]:الرواية، ص48.

على الحكومة، وعلى مفاوضات السلام»[1]، فهو يستمر في استدعاء ملامح الرفض والمعارضة والتمرد بكل شجاعة ويرفض الرضوخ والاستسلام، ويتوق إلى الحرية والتخلص من الضعف والانكسار، ولذلك كان يدعو الشعب إلى الثورة على القوانين الفاسدة ومحاربة الظلم الاضطهاد وهذا ما يتضح في قول الراوي « ستكون معجزة العصر لو أن الشعوب العربية استعادت إنسانيتها... إن القمع الذي مورس عليها سنين طويلة، هو بمثابة الشرارة التي لا تعرف متى تنفجر لتأكل كل شيء!!»[2]،إن حالة المثقف المعارض في الرواية هي إحالة على ثقافة الرفض والمقاومة، وهي تعبر عن روح المواجهة الحاصلة بين السلطة والمجتمع خاصة في نخبته المثقفة، كما إن البطل المعارض في الرواية هو ذلك الشخص الواعي والصامد أمام عنف الواقع والسلطة، فمثلا الكتابة على الحائط هي نوع من الوهم ولكنها تحمل حقيقة مفادها التعبير عن الوعي الداخلي للشخصية والمستوى الشعوري الكامن بداخلها.

3/ المثقف المضطهد:

لم يكن المثقف المضطهد في الرواية إلا جزءا من المثقف المعارض أو هو عنصر مكمل لهذه الشخصية فالمعارضة تعني الاضطهاد وهو ماتجسد في رواية "ياصاحبي السجن" فهذا النوع من المثقفين يشمل الفئة الأكثر معاناة من ظلم وإستبداد النظام الحاكم، كونهم يسعون إلى التغيير والإصلاح والإرشاد ونشر الوعي داخل المجتمع، والمطالبة بالحقوق والحريات ومواجهة السلطة ومحاولة كشف المسكوت عنه من خلال كتاباتهم التي يعالجون فيها بعض القضايا ويتحدثون عن الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها، وبالتالي هذا الصنف من المثقفين سيكون عرضة لتهديد السلطة وظلمها، وهذا ما حدث مع بطل رواية " يا صاحبي السجن" الذي كان مصيره الدخول إلى السجن بعدما قام بإلقاء قصيدة شعرية في "قلعة علجون" حيث قام فيها بإنتقاد الملك والنظام الحاكم، فنجده يقول في الرواية «وقفت كأي مواطن أتلو يومياتي في القلعة، وابتدأ الإيقاع على لحن الجوع والفقر في قصيدة: (يوميات مواطن)، ولعل الشعور بالجوع يورث النقمة لدى بعض المترفين، أو لعلك ترتكب جريمة حين تفتح عيون المتخمين على واقع الجوع والفقر والتهميش، ولعل شاعرا مثلي لم يكن يحق له –في عرف الدولة بالطبع– أن ينحاز إلى جانب الفقراء»[3]، فالتحدث عن الأوضاع الاجتماعية وفضح الواقع المعاش يعتبر تعدي على حرمة السلطة ويعتبر إهانة لها حيث تم توجيه له تهمة إنتقاد الملك فتم اعتقاله ومصادرة كل ما يمكن أن يهدد أمن الدولة واستقرارها من قصائد ومقالات وغيرها وذلك من خلال قوله « هجموا على كل ورقة مكتوبة وأخذوها، شريط الفيديو كان مادة إثبات التهمة علي

[1]:الرواية،ص150-151.
[2]:الرواية،ص127.
[3]:الرواية،ص8-9.

إذ أنه شريط الأمسية الشعرية في قلعة علجون والذي بسببها تقام الحفلة الآن»[1]، وقوله أيضا «تابعت الجوقة تفتيشها الدقيق، لم تترك ورقة واحدة مطبوعة عليها قصيدة، أو بضعة أبيات، أو ما هو مخطوط بخطي يدي إلا جمعته»[2]، ثم قاموا بالتوجه به إلى السجن ليبدأ الاضطهاد الحقيقي هناك حيث شعر فيه بأنه لا ينتمي إلى مجتمعه وأنه غريب عن ذلك السجن الذي شعر فيه بالوحدة التي كادت تكسره نفسيا وتهدم شغفه وإصراره على الكتابة، ومنذ ذلك اليوم أصبحت هناك لحظة فارقه في حياته ونلمس ذلك من خلال من قوله « تركني وحيدا في الظلمة، لأول مرة في حياتي أجد نفسي في زنزانة انفرادية لا أدري كيف يمكن أن استعيد اللحظة الفارقة في حياتي»[3]، فقد كان شعور البطل مزيجا من الخوف والقلق والدهشة وعدم التصديق للحالة التي وصل إليها حيث راح يسأل نفسه من خلال قوله «من أنا؟ سألت القابع في أعماقي، وهتفت: أنا معتقل سياسي، في قسم المخابرات، في زنزانة انفرادية، في منتصف الليل، على رقعة وطني الحبيب»[4]، فقد كان لا يتوقع أن يصل إلى الحالة التي وصل إليها داخل قضبان السجن فهو محاصر من كل مكان وكأنه مجرم خطير يريدون منعه من نشر الفساد في المجتمع، فقد تمت معاملته معاملة سيئة لاق فيها الظلم والتحقير والتعذيب داخل السجن ويتضح ذلك في الرواية من خلال قوله «ظننت لوهلة أنها حفلة تعذيب، وأن التشميس بعني التعرض للشمس في وسط الظهيرة مع الضرب...قفز الخوف كفأر في عبي...وبدأ قلبي يخفق كفم سمكة ألقيت خارج الماء، وهتفت بصوت مبحوح وبتردد: لا...لا...»[5]، ان الراوي قد لاقى من السلطة ما لم يكن يتوقعه في حياته وهذا ما جعله يتحسر ويعد الأيام التي سوف يقضيها داخل السجن، فرغم أنه مثقف إلا أنه لم يلقى تقديرا ملائما أو احتراما بحيث أن الواقع الذي وصل إليه لا يقدر المثقف ولا الثقافة.

ظل بطل الرواية يتنقل بين السجون، حيث تم نقله إلى سجن "الجويدة" ومنه إلى سجن "سواقة" فحاول هناك أن يتأقلم ويتعود على السجن وذلك من خلال تكوين بعض الصداقات داخله ونلمس ذلك في قوله «اتسعت دائرة معارفي هنا في سجن "الجويدة"، سمحت لي الظروف بان ألتقي العشرات وأسمع قصصهم»[6]، لكن على الرغم من أنه حاول أن يتعايش مع الواقع الذي وصل إليه إلا أن دخوله إلى هذا المكان حطم نفسيته وترك فيها جرحا عميقا خاصة من الإهانات التي تم توجيهها له في تلك الفترة، فقد كانوا يحرمونه من أبسط متطلبات الحياة مثل الطعام والماء

[1]: الرواية،ص 16.
[2]: الرواية،ص17.
[3]: الرواية،ص22.
[4]: الرواية،ص22.
[5]:الرواية،ص52.
[6]:الرواية،ص199.

والنوم وهذا ما يتضح في الرواية من خلال قوله « دفعني باتجاه الحائط...وأعاد الموعظة: ممنوع النوم»[1]، وهذا ما خلف أثرا سيئا في نفسية "أيمن العتوم" لم يستطع أن يتخلص منه، فالانكسار النفسي الذي أصابه جعله يحس بالضعف والإهانة وهذا ما وضحته الرواية في قوله «بدت لي هذه الوساوس مثل صراخ فيل في قعر محيط...تحولت إلى نفسي،نظرت إلى قلبي، شاهدت خفقانه يخفت شيئا فشيئا...أحسست بأنه محرك يتباطأ في دورانه، عند آخر دورة لهذا المحرك سقطت على الأرض...سارع الجحي بفتح الزنزانة هزني بعنف...ورشق الماء في وجهي...صحوت مجددا كمن نام قرونا أثناء هذه السقطة»[2]، فكانت الوحدة مثل العدو الذي كان يقتله.

نخلص إلى القول بأن المثقف المضطهد باعتباره فرد من المجتمع «قد عانى الكثير بتعرضه لأشد أنواع التعذيب والتقتيل والقهر، وعانى التهميش والنفي والإهانة»[3]، فهو من بين المثقفين الذين ناضلوا من أجل إيصال الحقيقة وخدمة المجتمع، وهذا الأمر انعكس على نفسيتهم وجعلهم يشعرون باليأس والانكسار والخذلان كما كلفهم أرواحهم في أغلب الأحيان.

ثالثا: أزمة المثقف والسلطة في الرواية:

غالبا ما تشكل قضية المثقف وصراعه مع السلطة محور اهتمام لدى الروائيين وغيرهم من الكتاب وذلك على اعتبار أن المثقف عنصر فعال في المجتمع، فهو يعمل على تبني القضايا التي يعاني منها مجتمعه ويحاول إخراجه من قوقعة الظلم والاستبداد الذي تفرضه السلطة، والتي دائما ما تحاول استغلال شعبها وفرض سيطرتها عليه لحماية مصالحها الشخصية، فالفرد دائما يعيش داخل وسط اجتماعي تحكمه مجموعة من القوانين التي تفرضها السلطة أو النظام الحاكم وهذه القوانين منها ما يتماشى مع مصلحة الفرد والمجتمع، ومنها ما يتعارض معها ويكون خادم للمصلحة الشخصية للسلطة ويعمل على تقييد حرية الفرد وخاصة الحرية الفكرية التي تخص الفئة المثقفة والتي ترى في حرية الفكر والإبداع الشيء الجوهري الغير محدود الذي لا يستطيع الشخص المثقف في حد ذاته أن يتحكم فيه لأنه يعتبر ملكة عقلية تميز الفرد المثقف عن غيره وتمنحه الراحة النفسية، وتقييد حرية الفكر يجعل الشخص يفقد لذة الحياة ويجعل إبداعه محدود.

---

[1]: الرواية،ص50.

[2]: الرواية،ص50.

[3]: سعاد عبد الله الغنزي، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2010،ص50.

فرواية "يا صاحبي السجن" تصور وتجسد لنا معاناة المثقف في خضم سياسة السلطة واجتياحها لمعالمه وتدميرها لآفاقه المستقبلية من خلال تقييدها لحريته الفكرية والإبداعية، فبطل الرواية مثل الشخصية النموذجية الواعية والمثقفة في النص الروائي من خلال أفكاره وقناعاته وإسهاماته اليومية وكذلك من خلال نشاطه الشعري فالرواية قدمت لنا صورة عن الظلم والتحقير الذي تعرض له الراوي البطل من طرف النظام والسلطة، حين تم القبض عليه بسبب قصيدة أنشدها في إحدى الأمسيات الشعرية بقصر "الجويدة" بالأردن، حيث تم اتهامه بإطالة اللسان على الملك والتحريض على الفتنة ويظهر ذلك من خلال قول الكاتب « قال الضابط لأيمن العتوم: لدي التهم المسندة إليك، وهي: إطالة اللسان على الملك، والذم والتحقير، وتمزيق الوحدة الوطنية والتحريض على الفتنة»[1]، فقد كانت الدولة تقيد الشعراء والكتاب في التعبير عن معاناة الشعب والفساد داخل الدولة وكذلك التعبير عن آرائهم السياسية والاجتماعية فكانت تقف في وجه كل من يعارضها ولا يتماشى مع آرائها ونلمس ذلك في قول الكاتب في الرواية «ولعل شاعرا مثلي لم يكن يحق له في عرف الدولة بالطبع أن ينحاز إلى جانب الفقراء...بل تعودت الدولة على شعراء من نوع خاص، شعراء يلهثون وراء بريق المنصب والشهرة والمال»[2]، وقوله أيضا «تعودت الدولة على شعراء السلاطين، وقلما ينهض في الأردن شاعر يخرج عن هذه الدائرة، ولأنني رسمت لنفسي دائرتي الخاصة البعيدة عن الزعيق والتطبيل والتزمير، كنت عرضة لسهامهم، وكنت هدفا سهلا لبنادق صيدهم»[3]، فالسلطة دائما تحاول إبعاد كل ما يمس بمصالحها الشخصية وكل من يحاول فضحها وفضح استبدادها، فهي تحاول مصادرة كل ما كان يصدره المثقفون ضدها، كما إنها تقوم باحتواء كل من يدعمها ويقف إلى جانبها، فالمواجهة مثلت نوعا من الصراع بين الأنا والآخر (المثقف/السلطة).

تعمل السلطة على جعل المثقف عبارة عن آلة تستعين بها لنشر هيبتها وجبروتها على المجتمع وفرض سيطرتها عليه وبذلك هي ترغم المثقف على الصمت وتصادر حرية التعبير لديه، بمحاولة إبعاده وجعله يتخلى عن آرائه وإبداعاته ويتضح ذلك من خلال الرواية في قول الضابط للبطل «وقع على ورقة أن هذه الأشعار لا تقصد بها...و...؟!!! ربما تخرج من هنا»[4]، فهم يصادرون النوايا من خلال عرضهم على البطل التخلي عن قصائده التي عبر فيها عن آرائه مقابل منحه حريته وإخراجه من السجن وكان هذا العرض بالنسبة لأيمن العتوم بمثابة إهانة له ولكتاباته حيث يقول في الرواية « قفزت من محلي، كمن لدغته عقرب...أحسست بعد اللدغة بأن كفا من حديد

[1]:الرواية،ص107.
[2]:الرواية،ص9.
[3]: الرواية،ص9.
[4]:الرواية،ص47.

صفعت أذني اليسرى...، هتفت في سري: يبدو أنني كنت متساهلا إلى الحد الذي تجرأ فيه لأن يطلب مني طلبا وقحا مثل هذا»[1]، فالمبدع يرفض التخلي عن كتاباته وإبداعاته حتى وإن كان ذلك مقابل حياته لأن حياته لا معنى لها بدون إنتاجاته الفكرية وقيمه المعرفية والثقافية، فالكاتب يرى بأن حريته تكمن في حرية أشعاره وكتاباته فهو يرى فيها متنفسا له، ويظهر ذلك من خلال قوله «صنعت حريتي التامة في أشعاري...هربت إليها، وناجيتها نجوى العاشق وفي ضلال كلماتي شعرت بالدفء»[2]، فأشعاره بالنسبة إليه مثل الوشاح الذي يحميه من البرد والحرارة، فكلماته هي التي تملئ النقص والفراغ في حياته وبها لا يحس بالوحدة.

فالمثقف في نظر السلطة كائن مزعج يجب كتم أنفاسه وإبعاده وممارسة مختلف أنواع العنف والقهر ضده، وجعله يعيش حالة من الخوف والهلع والرعب، فكل معارض ومقاوم لأوامر وقرارات النظام الحاكم والسلطة سيواجه مضايقات ومتاعب توصله إلى السجن والتعذيب والقتل في أغلب الأحيان، وذلك لأن الوزن والمكانة التي تمتلكها السلطة لا يمكن لأحد أن يعبث معها ومع نظامها، فكل مناهض لها سوف يتلقى مصيره وهذا ما حدث مع بطل الرواية الذي تم سجنه وتقييد حريته بسبب قصائده ويتضح ذلك في قوله « ترى ما الذي أعطاهم الحق بمصادرة حريتي على هذا النحو...؟ ماذا فعلت حتى أقيد هنا وأعتقل في هذه الغرفة المنسية...لقد كنت أتوقع أن أجد احتراما من الدولة بدل أن تصفعني...ماذا فعلت في شعري غير أنني رفعت صوتي»[3].

إن سخط السلطة لا ينتهي بل يستمر حتى إشباع أفكارها، فهي تعتبر ذلك الجلاد الذي يمارس تعذيبه على المثقفين حيث أن «سادية الجلاد تهدف إلى السيطرة على المعتقلين وإذلالهم، تجميدهم، صدمهم، تحقيرهم ووضعهم تحت رحمته، وتحطيم حيويتهم وكثافة كيانهم، إنها تهدف باختصار إلى تحطيم كل ما يشكل عنصر كثافة ومقاومة ومجابهة ووزن في كيان المعتقل»[4]، فالسلطة تعمل على إثبات ذاتها وفرض هيمنتها بممارستها لشتى أنواع التحقير والاهانة، وذلك من خلال التحكم في المثقفين وجعلهم تحت أيديها وزرع الرعب في قلوبهم ويتضح ذلك في قول الراوي «إن الناس تقدس السلطة وترهبها، ولكن الكثرة تغلبها إن أصرت على منازل الرأي، وثبت على ما تقتنع به»[5] فمواجهة السلطة لا يكون إلا من خلال الوقوف في وجهها والتمسك بالآراء والأفكار التي يقتنع بها الشعب.

---

[1]: الرواية،ص48.

[2]: الرواية،ص240.

[3]:الرواية،ص50.

[4]:مصطفى حجازي،الإنسان المهدور(دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 2005،ص155.

[5]: الرواية،ص74.

تسعى السلطة إلى بسط الهيمنة الفكرية، من خلال مراقبة كل رأي أو فكرة تتسرب من عقول وأفواه المثقفين أو غيرهم، بحيث تجعلها تسير على النحو الذي يتماشى ويلائم السلطة حتى ولو اضطر المثقف إلى التخلي عن قناعاته وأفكاره، كما أن السلطة دائما ما تحاول البحث عن حلول لكي تبرأ نفسها و تشد حبل الولاء إليها، فهي تتخلص من كل الأمور والأخطار التي تشوه صورتها وتقف أمام تحقيق أهدافها، ولذلك فهي دائما تكون حذرة لسلوكات وتصرفات شعبها، فأي شيء يهدد مصالحها تتخلص منه بوسائلها الخاصة، وهذا ما حاولت فعله مع البطل وبقية السجناء السياسيين في السجن، ويتضح ذلك في قول الكاتب في الرواية «بدأت المضايقات تأخذ مناحي متعددة، وبدأنا نشعر باستهدافنا أكثر من سوانا ومن ذي قبل، وصارت إدارة السجن –على ما يبدو– تستمتع كسلطة في تهميشنا وإنزال الأذى والضيم بنا...»[1]، إن علاقة المثقف بالسلطة مبنية على الصراع والمواجهة وهذا ما حركته أحداث الرواية حيث أن التشكيل السردي مبني ومؤثث بعامل الفكرة والثقافة والمواجهة، ولهذا فقد رسم لنا الراوي صورة عن عمق الهوة بين الطرفين وممارسة المثقف لسلطة الوعي مقابل ممارسة السلطة لقوة القمع.

رابعا: أزمة المكان وتشكّل الشّخصية المثقّفة في الرّواية:

يحتل مكون الفضاء المكاني مكانة هامة ضمن بنية الرواية، حيث أنّه يمثّل أحد أهم الخصائص البنائية للنّص السّردي، وأبرز مكونات هويته، فهو الإطار الذي تنشأ فيه الشّخصية وتتحرّك داخله، وتدور فيه الأحداث فلا يوجد حدث دون مكان وهو يعرف بأنّه « المكان أو الأماكن المضمنة، التي يظهر فيها كل من المواقف والأحداث والسياق الزماني والمكاني للحكي. إنّه الأطار المكاني المحيط بحركة السّرد كله بما يتجاوز حدود الأمكنة المحدّدة»[(2)]، فالمكان هو الساحة التي تتضح فيها تحرّكات وآراء مجموعة من الشّخصيات إزاء موقف ما.

[1]:الرواية،ص249.

[(2)]– أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط01، 1998، ص56.

إن المكان في رواية " يا صاحبي السّجن" قد شغل فيه السّجن الحيز الأكبر وهو يعتبر مكان مغلق يقيّد حركة الإنسان « باعتباره مكان للإقامة الجبرية شديد الانغلاق»[1]، يعمل على تقييد حركة الإنسان ويؤثّر سلبا على نفسيته، فهو يمثّل مكانا للإصلاح وإرضاخ السّجين وإذلاله.

فقد كان السّجن فضاءا فاعلا وحاضرا في الرّواية، فالكاتب استحضره لاسترجاع ذكرياته من خلال سرد تجاربه التي عاشها داخله، حيث أن القمع الممارس على المثقّف أفضى إلى سجنه فغدى بذلك هادما للذّات ومحطّما لآمالها، والسّبب هو التّعبير عن الرّأي وانتقاد القرارات الظّالمة المستبدّة التي تصدرها الدّولة، فنجد بأنّ المثقّف بمجرّد أن يكتب مقالا أو شعرا يعبر فيه عن رأيه أو يتحدّث فيه عن الظّلم الممارس ضدّ شعبه وأمته يعتقل ليزجّ به بعد ذلك في السّجن، ليكون عبرة لمن يريد الوقوف في وجه السّلطة والنّظام الحاكم، وهذا مصير كلّ من أراد إزعاج السّلطة وزعزعة مكانتها، فكل كلمة يكتبها المثقّف سواء كان صحفيا او أديبا او شاعرا سوف يحاسب عليها، فالسّلطة ستقف سدّا منيعا بشتّى أجهزتها للحدّ من ظهور هؤلاء المثقّفين وإنهاء كتاباتهم وإبداعاتهم.

كان للسّجن حضورا معتبرا في رواية "يا صاحبي السّجن" كون شخصية "البطل" شخصية مثقّفة اعتقلت وأُدخلت إلى السّجن من طرف قوات الشّرطة، وذلك عقب اتّهامها بإطالة اللسان والتّحريض على الفتنة ليتمّ الحكم عليه بثمانية أشهر في السّجن، قضاها متنقّلا بين ثلاثة سجون هو سجن المخابرات، سجن الجويدة سجن سواقة. فقد كان السجن في هذه الرواية هو الفضاء المكاني الذي خلق لدى البطل عقدة نفسية، وذلك لأنّه يعدّ مكان إقامة جبرية، فليس بمقدور السّجين الذي يدخله أن يختار ما يريده، أو يرتدي ما يحب، أو يتحرّك كيفما يشاء، فهو بقعة محاصرة بالجدران تحكمها مجموعة من القوانين، وهذا ما يتّضح من خلال الرواية في قول الكاتب «أيقظني من الخيالات اللّذيذة شرطي قدم من جهة الإدارة... أعطاني لباس السّجن، وهو عبارة عن قطعتين زرقاوين، واحدة للجزء الأعلى وأخرى للجزء الأسفل. وحين فردتهما أمام عينيّ، سارعت إلى القول: إنّهما لا يمكن أن يُلبساني فهما

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء- الزمن- الشّخصية)، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط01، 1990، ص56.

ضيقان، وأنا سمين لحيم!! ...، وكلما رفعت قطعة أستخبرها، أجد أنّها إما أن تكون قصيرة الأرجل ، أو ضيقة الوسط، أو مشقوقة، أو مثقوبة، أو ذات رجل واحدة، أو بمطاط تالف أو بغير مطاط، أو كحت لونها حتى لم تعد زرقاء، بل صارت بيضاء»[1]، فالدخول إلى عالم السّجن هو بداية للقهر والتّسلّط وتكميم الأفواه وفقد ملكية الذات فالسّجين يتحول إلى خاضع للقوانين فلا يقرر ما يريد ومنها نزع حرية الإختيار في اللباس، فعلى السّجين أن يرتدي اللباس المقرر في السجن مهما كانت هيئته أو لونه دون احتجاج، وهذا يدل على أنّ السّجناء يعانون من الإهمال في أبسط الحقوق ألا وهي اختيار اللّباس، وكذلك بالنّسبة للأكل أيضا حيث لا يحقّ للسّجين أن يبدي رغبته في طعام ما أو يعترض عليه وذلك لأنّ الطّعام قليل لا يسد جوع السّجين، ولذلك فهو يستقبله استقبال الملهوف وهذا ما يتّضح في قول الراوي «الحارس الذي دخل مشى خطوتين ثقيلتين، ووضع أمامي صينية صغيرة وخرج دون أن يتفوّه بكلمة، أغلق الباب خلفه، وتركني مع فطوري: قطعة خبز صغيرة، وبيضة مسلوقة، ولا شيء آخر...»[2]، كما تطرّق البطل في روايته إلى القول بأنّ السّجين الذي يدخل إلى السّجن يفقد كرامته فيصبح ليس له الحق في المطالبة بحفظ كرامته وهذا ما أورده الكاتب في قوله « مجتمع السّجن مجتمع تتدنى فيه الكرامة إلى أقل مستوياتها، وليس من هدف للشّرطي هنا إلا أن يحترف الطّرق التي يهين بها السّجناء»[3]، فالسّلطة كانت لا تتوانى لحظة في جعل السّجين يشعر بالمهانة والإذلال، فكانت تحط كم قيمته وتعامله معاملة العبد، وذلك من أجل المحافظة على سلطتها وهيمنتها.

كذلك لم يغفل "أيمن العتوم" في تصويره للسجن تلك التّفاصيل المتعلّقة بوصفه وسرده للأحداث التي عاشها داخله، فقام بوصف الزنازين الانفرادية التي أُدخل إليها بعدها ثم القبض عليه من طرف الأمن وهذا ما أورده في قوله«الزنزانة طولها متران ونصف وبهذا العرض أيضا، ... على يميني مقعدة لقضاء الحاجة، وبجانبها مغسلة صغيرة جدا

---

[1]- الرواية، ص66.

[2]- الرواية، ص29.

[3]- الرواية، ص112.

بالكاد تتّسع لوضع رجل فيها... وعلى الأرض فرشة واحدة والأرض حافية»[1]، فالكاتب يصف لنا الزنزانة بأنّها مكان ضيّق مقيّد للحرية وذلك باعتبار أن الحرية هي « هي ذلك الذي يفعل ما يشاء وليس ما يريده شخص آخر سواه، أي غياب الإكراه الخارجي»[2]، فالزنزانة كانت لا تتوفر على أبسط احتياجات الفرد بدءا من حجم المساحة التي يتنقل فبها انتهاء بمتطلّباته الحياتية من غطاء وفراش وضوء.

كان الظلام يسود هذا المكان، فلم يكن في إمكان السّجين رؤية أي شيء لولا تسرب القليل من الضّوء عبر شقوق الباب وهذا ما يوضّحه الكاتب في قوله «من تحت شقوق الباب، تسرب كم ضئيل من الضوء ليخفف حدة الظّلام الجارحة»[3]، وقوله أيضا« كان الظّلام سيّد الموقف، لم أرى شيئا، خلت أنّني أسبح في أمواج **الليل**»[4] فالكاتب يصف لنا حالة المعاناة والحرمان التي يعاني منها السّجين، فالضّوء كان بمثابة الحرية بالنّسبة إليه في تلك الزنزانة المظلمة، ولذلك فقد كان يحن لضوء الشّمس ليشعر بأنّه على اتصال بالحياة الخارجية وهذا ما ورد في قول الراوي«ما أجمل أشعة الشّمس وهي تدخل عبر النافذة العالية ذات القضبان الحديدية إلى زنزانتك فتعلن لك عن دورة الحياة، وهي تسير في دربها الأزلي».[5]

كما كان للسجن دوره وقسوته في تكبيل النفس وقتل الحرية لدى البطل المثقّف وبقية السّجناء السياسيين فإنّه كان أيضا يبعث على المواجهة والتّحدي والصبر، فعلى الرغم مما عاشه البطل داخل السجن من معاناة وظلم واستبداد، إلا أن السجن قد صنع منه شخصا قويا وأكثر صلابة وثباتا وهذا ما يتّضح في قوله« فيه تعتقت التّجربة على المستوى الشّخصي، حتى استطاعت أن تصنع مني إنسانا قويا... أنا الآن أقول... شكرا معتقل سواقة لقد

---

[1]- الرواية، ص34.

[2]-لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول (A-G)، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط02، 2001، ص728.

[3]- الرواية، ص23.

[4]- الرواية ص، 23.

[5]- الرواية، ص51.

كنت معلما بارعا، وكنت بين يديك تلميذا لامعا»[1]، فالبطل اتّخذ من السّجن معلما يتعلّم منه كيفية العيش والتّعامل مع الحياة ومشاكلها، وكان مدرسة تعمل على إثراء فكره وتوسيع مداركه ومعارفه وذلك من خلال التنقّل بين القضايا المختلفة وسعيه إلى التّعرّف على السّجناء والإستفادة من تجاربهم ومعارفهم وهذا ما نجده في قوله:«أردت أن أتعلّم في السّجن ما لم أتعلّمه طيلة حياتي»[2]، وذلك لأنّ السّجين في السّجن يلتقي بالكثير من الأشخاص ممن يحملون ثقافات ومعارف متنوعة فيفتح باب الحوار والنّقاش معهم، وبذلك تصبح له الفرصة في إثراء فكره ومعرفته ولذلك فإنّ البطل كان لا يفوت أي فرصة للتّعرّف على شخصية من الشّخصيات والحديث معها بغية الإستفادة وهذا ما وضّحه الراوي في قوله «لم أفرّط في الجلوس مع أيّ شخصية كانت هناك والإنصات التام لها بغية الإستفادة».[3]

أيضا استغلّ البطل فترة تواجده في السّجن في القراءة والكتابة خاصة بعد حصوله على القلم الذي مكّنه من مواصلة أعماله الابداعية وتدوين القصائد التي ألّفها وحفظها في ذهنه، فالكتابة كانت بالنّسبة إليه وسيلته في التّعبير عن أفكاره وآرائه لأنّ «فرصة الكتابة نثرا تتيح مجالا أوسع للتّعبير عن الحياة وواقع المجتمعات».[4]، أي أنه من خلال الكتابة يستطيع الإنسان أن يعبر عن واقعه وما يختلجه من أفكار وآراء، كماالتّخذ من الكتب رفيقا لوحدته يحارب بها الكآبة والملل، فصارت مكتبة السّجن وجهته، ومكان عزلته الذي كان يلجئ إليه لينعم بالراحة والهدوء والطّمأنينة وهذا ما نجده في قول الكاتب «قررت إدارة السّجن أن تشرع لنا أبواب المكتبة... فخلا لنا الجو، وفتحت لنا الكتب عن صدرها وكشفت عن ذراعيها وقالت لنا بكل شوق: هيت لك!! فقلنا لها: هات لنا».[5]، وأيضا قوله

---

[1]-الرواية، ص143.

[2]- الرواية، ص99.

[3]- الرواية، ص221.

[4]-محمّد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة للنشر والتّوزيع، بيروت، ط01، 1987، ص107.

[5]- الرواية، ص283.

«هاأندا... أقاوم الكآبة بالنّظر إلى صفحة واحدة، يكفي أن أرى سطورا مبهمة تتناثر في مدى الرؤية لأشعر بشيء من الطّمأنينة...».[1]

كما جعل البطل من الكتابة وسيلة تشجّعه على الصّمود وتحمّل الضّغوطات والآلام والأحزان التي كان يواجهها في السّجن من طرف السّلطة «كنت أشجّع نفسي رغم الآلام، ورغم قلة الشّركاء في هذا الهم، عن طريق الأشعار والكلمات التي كنت أهزج بها، وأصدح بإيقاعها وأترنّم بمعانيها بصوت عال»[2]، فالسّجن بالنّسبة للبطل المثقف في الرواية لم يزده إلا تحدّيا وإصرارا على مواجهة الظلم والاستبداد فاستطاع التّغلّب على آلامه وأحزانه، وصار شخصا آخر لا يهاب العوائق والمحن، وبذلك تخلص من أزمته وجعل من السّجن طريقا يقوده نحو الأمل والحرية ليخرج منه شخصا قويا شجاعا أكثر نضجا ووعيا ومعرفة وهذا ما وضّحه الراوي في آخر روايته في قوله:

خرجنا من السّجن شمّ الأنوف كما تخرج الأُسْدُ من غابها

نمرّ على سُفرات السّيوف ونأتي المنيّة من بابها

لتعلم أمّتنا انّنا ركبنا المنايا حنانا بها.[3]

وفي الأخير يمكن القول بأن المكان عنصر مهم من عناصر السّرد الرّوائي، لأنّ أبعاده الواقعية والمتخيلة ترتبط ارتباطا وثيقا بالنّصّ وبكلّ ما يحويه من شخصيات وأحداث، وذلك لأن المكان عنصر مهم في بناء الشّخصية الروائية، ولهذا نجد أنّ الكاتب في رواية "يا صاحبي السّجن" قد اعتمد على حصر الأحداث ضمن مكان واحد وهو السّجن الذي كان له أثر على نفسية الشّخصية من خلال المعاناة التي عاشها داخله لكن البطل المثقف في الأخير يتغلّب على العقدة التي خلفها هذا المكان على نفسيته من خلال إبداعه.

---

[1]- الرواية، ص285.

[2]- الرواية، ص202.

[3]- الرواية، ص343.

خامسا: المثقف وسلطة الكتابة:

تعتبر الكتابة من أكثر الأمور المهمة في حياة أي مثقّف فهو لا يستطيع التّخلي عنها لأنّها وسيلته الوحيدة التي يتوجّه إليها في معالجة مختلف القضايا والجوانب الفكرية والمعنوية من (أفكار وعواطف، وأحاسيس) فالمثقّف هو الذي يعبر من خلال فعل الكتابة عن أفكاره وإبداعاته باعتبار أنّه هو «الشّخص المتميز عن عامة الناس لأنه يدرك الفوارق الدّقيقة الكائنة في ظلّ الفكر الواحد»[1]، فهو من خلال فكره الواسع يستطيع إنتاج الكلمات وجعلها ضمن إطار فني جمالي تحت ما يعرف بالكتابة وذلك عن طريق استعمال أسلوبه الخاص في التّعبير عن ما يختلج النفس من أفكار وأحاسيس وغيرها ثمّ يعمل على معالجتها من خلال التّعبير عنها وإيصالها للآخر، وعليه فالكتابة هي المرآة العاكسة لما هو موجود في النّفس، فالمثقّف يعبّر عن الأفكار التي تظهر في الذّهن ثمّ يعمل على تجسيدها من خلال اللّغة والكتابة وذلك لأنّ « التّفكير سابق على اللغة فكثيرا ما تنبثق الفكرة في أذهاننا، ونبقى نبحث عن العبارات التي تؤدّيها كما انّ استعمالنا لأكثر من لغة واحدة للتّعبير عن المعنى الواحد، يكشف لنا عن أسبقية الأفكار بالنسبة للوسائل اللّغوية التي نعبّر بها»[2]، فالمثقّف يستعمل الكتابة للتّعبير عن رغباته الحسية والمعنوية وقد استخدم الألفاظ للدّلالة عنها فهو يبديها من خلال الكتابة، ولذلك فالعلاقة بين المثقّف والكتابة هي علاقة تلازم وتكامل، فالكتابة تكمل المثقّف فلا يكون مثقّفا إلا إذا كان مبدعا كاتبا ولا توجد كتابة إلا ورائها كاتب مبدع ومثقّف، إذن الكتابة هي سلاح المثّقف لإثبات هذه الذات فهو يستطيع إبراز نفسه من خلالها ومن خلال الموضوع الذي يتطرّق إليه فالفكرة تكون في بدايتها عبارة عن ظاهرة داخلية في ذهن الفرد، ثمّ تتحوّل وتصبح عبارة عن نصّ مكتوب يتجسّد من خلال التعبير والكتابة.

كما أنّ الكتابة تمارس سلطة على الكاتب فترغمه على البوح بكل ما بجعبته من أفكار وآراء وذلك من خلال ذكرها في تفاصيلها ومكنوناتها فالكتابة هي قوة للحجة وتصوير فني لحالة المثقف ولفكره، فهي تعتبر السّبيل الوحيد له للدّفاع عن شعبه ووطنه وفضح كلّ من يسعى إلى تدميره وتخريبه، وهذا ما نجده عند، "أيمن العتوم" في رواية "يا صاحبي السّجن" التي صوّرت لنا المعاناة والآلام والمشاق التي تعرّض إليها البطل المثقّف داخل السّجن، لكن ذلك

---

[1]– أمين الرزاوي، صورة المثقّف في الرواية المغاربية، دار راجعي للنشر، الجزائر، ط1، ص25.

[2]– ابراهيم صبيح، وآخرون، فن الكتابة والتّعبير، دار الحامد للنّشر، عمان، ط01، 2001، ص07.

لم يمنعه من الكتابة بل جعل منها وسيلة للتّعبير عن ما يختلجه، وهذا ما تجلّى من خلال قوله «أليست الفكرة ألما، والتّعبير عنا بلسما»[1]، فهو يحس أنّ التّعبير من خلال الكتابة هو البلسم الذي يداوي جراحه.

إنّ الكتابة قد خلقت جو من الحرية في الإبداع لدى البطل داخل السّجن، حيث حاول الكاتب خلال فترة وجوده في السّجن أن يحسن من آداءه اللغوي والتّعبيري، من خلال احتكاكه بالعديد من السّجناء المثقّفين واكتسابه منهم للعديد من المعارف والخبرات وهذا ما اتّضح من خلال الرّواية في قوله «أحسست أن أبا جهاد علمنا درسا في النّضال لا يمكن أن تعلمنا إياه الكتب أو المحاضرات».[2]، وقوله أيضا « بدأت الحوارات السياسية والفكرية مبكرا هنا، عكرمة عراب الحوار أدخلنا سهوا في هذه الحومة»[3]، فقد كان البطل وبقية السّجناء من الفئة المثقّفة يجتمعون لتبادل مختلف الأفكار والآراء والمعارف فيما بينهم، وهذا ما جعل أسلوبه في الكتابة يتطوّر ويرتقي، وذلك لأن الكتابة تفرض على المثقف أسلوبا خاصا يتماشى مع خصوصية الشّخصية المثقّفة، فالأسلوب الذي يعتمد عليه الكاتب هو الذي يجعله يستطيع أن يوصل الفكرة إلى القارئ ويستطيع أن يقنعه من خلال التعبير الذي يعتمد عليه بحيث يجب أن لا يكون الخيال يطغى على أغلب صفحات الرواية لأنّها تصبح قصّة خيالية بعيدة عن الواقع، وعليه فالكاتب يعتمد على أسلوب واضح وذلك باعتبار أنّه «الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلّم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو الطريقة التي انتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه».[4]

كذلك ارتبط المثقف بقالب فني جمالي من خلال التّصوير الفني عن طريق السّرد بغية تأكيد لغته وذلك لأنّه يعتبر إحدى أدوات الكاتب أو الروائي في تقديم الأحداث وإيصالها إلى القارئ وهذا ما نجده في الرواية في قوله «دلفت في الممر الطويل خارجا من البيت باتجاه الباب الرّئيسي، لألتقي وأبي الخارج من غرفته القريبة من الباب هناك... ومعا فتحناه وتواجهنا مع صورة جديدة...» [5]، وفي مقطع آخر يقول «ألقيت بجسمي على الفرشة وتمددت طويلا... شعرت براحة جسدية فائقة... بعد كل هذه المشاوير المتّبعة، ها أندا أجد مكانا ألقي عليه بثقلي...»[6]، فالروائي لكي يوضح لغته أكثر استعمل أيضا أسلوب الوصف إلى جانب السّرد وفي بعض الأحيان

---

[1]- الرواية، ص55.

[2]- الرواية، ص167.

[3]- الرواية، ص124.

[4]- محمّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1995، ص303.

[5]- الرواية، ص15.

[6]- الرواية، ص35.

مزج بين الوصف والسّرد وذلك من أجل أن يترك لدى القارئ تصورا حول الشّخصيات او الأحداث التي لها علاقة بالمشهد الروائي لذلك نجد أن الروائي يصف لنا بعض الأماكن والشّخصيات في الرواية وهذا ما يتّضح من خلال قوله « ثلاثة بلباس مدني، ورابع بلباس عسكري، يزدهون بأجهزة اللاسلكي الجوفاء في أيديهم، وهي تصدر زعيقا متواصلا أشبه ما يكون في بعض الأحيان بهرير نمرة جريحة».[1] وقوله أيضا «وهذا رجل آخر يميل إلى القصر، سمين، شكل كرشه عجلا حول خصره، كان دائم التنقل من مهجع إلى آخر...» [2]. فالراوي اعتمد في روايته على وصف بعض الشّخصيات وصفا دقيقا يجعل مخيلة القارئ تتصور صورتها الحقيقة.

كما أن الكتابة قد فرضت على الكاتب استعمال تقنية أخرى في تقديم الشخصيات والأحداث وهي تقنية الحوار لجأ إليها الكاتب من أجل إقناع القارئ وألا يشعره بالرتابة والملل، وأيضا بغية توضيح الفكرة والكشف عن أعماق الشّخصيات وهذا ما تجلى في الرواية من خلال قوله:

« قال لي: لم أتوقع أن أراك هنا !!

– ماذا تعني؟!

– ألم يأتك زوار الليل؟

– زوار الليل... لا تزورني في الليل إلا قصائدي!!

– لا لا تتحذلق...!!».[3]

وقوله أيضا«اسمك؟

أيمن العتوم!!

هذا الشعر الذي قرأت لك عناوين بعض قصائده .... هل أنت كاتبه؟

---

[1]– الرواية، ص15.

[2]– الرواية، ص303.

[3]– الرواية، ص10.

نعم وبكل فخر!!».[1]

وعليه يمكن القول بأن الكاتب قد اعتمد على أسلوب الحوار حتى يشرح للقارئ الأحداث التي كانت تدور في الرواية، مستعملا في ذلك لغة سهلة واضحة وقريبة من ذهن المتلقي.

كذلك نجد أن الكتابة قد فرضت على الكاتب نوع آخر من التقنيات هي المزج بين الواقع والمتخيل، وذلك من أجل إثارة المتلقي والتوجه إليه بنوع من الإثارة والتشويق، ولهذا نجد أن الكاتب "أيمن العتوم" قد توقف في روايته عند البعض منها وذلك من خلال استذكاره واسترجاعه لبعض الأحداث وهذا ما يتّضح من خلال قوله«أنا شاعر بسيط يحاول أن يبتلع آلة الزمن ليرجع بذاكرته إلى الوراء قليلا فيكتب ما غيبته سجون الأيام والسّنين...».[2]

وفي موضع آخر قوله «كانت العاشرة مساءا لستة أيام خلت من أيلول، لأربعة أعوام بقيت من القرن العشرين... العاشرة مساءا من زمن الأحلام المسفوحة، وأنا أجلس فوق حصير الألم»[3]، فالكاتب راح يسترجع بعض ذكرياته التي مر بها وذلك من أجل نقلها إلى القارئ.

في الأخير يمكن القول بأن الكتابة هي وسيلة لإعادة بناء الذات والمجتمع، فهي عتبر الحل الأمثل للمثقفين لمواجهة العنف والاضطهاد فالمثقف يعبر عن الأفكار والآراء التي تحرقه وتلهب ذاكرته عن طريق الكتابة التي تفرض عليه سلطة التدرج والانتقال في الأحداث من التعبير والإبداع عن ما يجول في فكره.

---

[1]- الرواية، ص45.

[2]- الرواية، ص07.

[3]-.الرواية، ص 14.

خاتمة

خاتمة:

وفي نهاية بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوردها في النقاط التالية:

– اتفق الباحثون على أنّ المثقف يمتلك الملكة العقلية والثقافية التي تجعله يستنبط مفاهيمه في تغيير أوضاع مجتمعه والدفاع عنه، وقد يتغيّر دوره حسب تصوّراته ومعتقداته الفكرية والاجتماعية، ولهذا تعدّدت أنماط المثقف فنجد المثقف الثوري، التراثي، والإصلاحي والمثقف الناقد.

– تنوعت توظيفات شخصية المثقف في الرواية العربية بسبب الظروف التي عايشها الكاتب، وذلك لأنّه يستنبط أفكاره ومعالمه من محيطه الخارجي.

– استطاع الكاتب أيضا التعبير عن سيرة ذاتية في قالب سردي مليء بالوصف والحوار والحركية والمواجهة مع لغة قوية وهادفة، فكان هذا المنجز السردي إضافة نوعية للواقع والحقيقة والإبداع الروائي المتجدّد.

– بعد الخوض في غمار رواية "يا صاحبي السجن" لأيمن العتوم التي عالجنا من خلالها أزمة المثقف والتي تمثلت في ازمته مع السلطة، تبيّن لنا أنّ السلطة كانت العنصر الذي سيطر على الشخصية البطلة في الرواية وذلك لأنّ العلاقة بين المثقف والسلطة هي علاقة تتسم بالجدلية والصراع بين كلا الطرفين، لأنّ السلطة تسعى دائما لاحتوائه من أجل خدمة مصلحتها.

– هيمن السجن كعنصر مكاني على هذه الرواية لأنّ كل الأحداث كانت ضمن هذا الإطار المكاني ولهذا فقد كان له الأثر الكبير على الشخصية المثقفة، لأنّه مكان مقيد للحرية لا يوفّر الظروف والوسائل الملائمة التي يحتاجها أي مبدع في إبداعه، لكن الشخصية المثقفة في هذه الرواية قد تغلبت على كل هذه الأوضاع وحاولت أن تصنع منها موضوعا للحديث عنه وفتحت أمامها مواضيع عدّة للكتابة الإبداعية.

– لم يقتصر أسلوب الروائي على السرد فحسب بل كان يلجأ إلى المكونات والمستويات الثقافية التي تخدم الحدث الروائي وتعين القارئ على كشف مكنونات الشخصيات الروائية.

– كذلك غلب على أسلوب الروائي أسلوب السرد بضمير المتكلم "أنا" في معظم أجزاء رواية (يا صاحبي السجن)، وهو ما يعبر عن مستوى من الوعي والإندماج الثقافي بين شخصية الكاتب والشخصة الروائية.

– صوّرت لنا هذه الرواية مثقّفًا متأزّمًا وذلك بسبب تقييد حريته الشخصية والإبداعية من طرف النظام السياسي والسلطة الرافضة للمتدخل في أمورها السياسية، فتسعى إلى إرهابه وإبعاده بكل الطرق عن أداء دوره في المجتمع، فالسلطة هنا تقيّد الفكر والرأي الذي لا يكون في حدود ما يخدم مصلحتها الشخصية.

– غلب نموذج المثقف المبدع في الرواية على خلاف بقية النمادج الأخرى من مثقف معارض ومثقف مظطهد وهذه النماذج قد مثّلتها شخصية واحدة وهي الشخصية البطلة.

– تكمن أزمة المثقف في سعيه الكبير إلى التغيير من خلال أفكاره وآرائه التي كانت تحمل طابع التمرد في نظر السلطة.

الملحق

التعريف بالكاتب:

هو أيمن علي حسين العتوم، شاعر وكاتب أردني ولد في الثاني من مارس 1972، تلقى تعليمه الثانوي في إمارة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة، ثم التحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، تحصل فيها على البكالوريوس في الهندسة المدنية عام 1997، ثم حصل على بكالوريوس في اللغة العربية من جامعة اليرموك عام 1999، ثم التحق بالجامعة الأردنية العليا في اللغة العربية تخصص ""نحو" و"ولغة" وهناك تحصل على شهادة الماجستير عام 2004 والدكتوراه عام 2007.

عمل أيمن العتوم كمعلم للغة العربية في عدة مدارس أردنية، كما عمل في مجال الهندسة المدنية كمهندس تنفيذي في مواقع إنشائية من عامي 1997 و.1998

2/ أعماله الثقافية:

أسس العديد من اللجان الأدبية والأندية المختصة بالكتابة في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية في الفترة بين 1994 و1999.

شارك في الكثير من الأمسيات الشعرية في الأردن وبعض الدول العربية كالعراق، الإمارات، السودان، قطر، مصر...

3/ أعماله الأدبية:

أ/ الدواوين الشعرية:

- خذني إلى المسجد الأقصى عام 2009.
- بنوءات الجائعين 2012.
- قلبي عليك حبيبي 2013.
- الزنابق 2015.

ب/ الروايات: كتب العديد من الروايات منها:

- **رواية يا صاحبي السجن:** صدرت عن المؤسسة العربية عام 2012، وتعتبر هذه الرواية هي أول رواية حيث تعبر عن تجربة لشخصية الكاتب في السجون الأردنية خلال عامي 1996 و1997 لكونه معتقلا سياسيا.

- **رواية ويسمعون حسيسها:** وهي التجربة الروائية الثانية له وصدرت كذلك عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام 2012.

– رواية ذائقة الموت: صدرت هذه الرواية في 2013عن دار النشر نفسها.

- **رواية حديث الجنود:** صدرت عام 2014.

- **رواية نفر الجن:** صدرت أواخر 2014.

– رواية خاوية: صدرت عام 2016.

كما أصدرت بعدها عدة روايات على مدار الأعوام المتتالية هي: رواية سمه أحمد في عام 2017، ورواية تسعة عشر عام 2018، ورواية أنا يوسف عام 2019، ورواية أرض الله عام2021.

ج/ مسرحياته: وفي المسرح كتب مسرحيات عديدة منها:

- مسرحية المشردون عام 1989.

- مسرحية مملكة الشعر عام2002.

د/ مقالاته:

اللغة والعولمة، مراجع صوفية، ثلاث قضايا تضع الشعراء في قفص الاتهام.

4/ملخص الرواية:

رواية "يا صاحبي السجن" هي رواية أردنية ظهرت عام 2012، وهي تقع في ثلاثمائة وأربعين صفحة، وهي أقرب للسيرة الذاتية، يتحدث فيها أيمن العتوم عن مدة زمنية من حياته، وهي المدة التي قضاها في السجون الأردنية حيث بدأت رحلة سجنه بعد أن لبى دعوة لحضور أمسية شعرية بقلعة "عجلون" بالأردن وألقى فيها قصيدة، اتهم على إثرها بإطالة اللسان على الملك والتحريض على الفتنة، فاعتقل في آب 1996 ونقل إلى قسم المخابرات في إربد، ليوضع في زنزانة انفرادية قبل التحقيق معه، ثم ينقل مرة أخرى بتاريخ 1996/09/07 إلى جرش ثم عمان ويوضع في زنزانة انفرادية وحيدا.

ظل الكاتب فترة داخل السجن وهو يجهل التهمة الموجهة إليه والتي دفعت به إلى هذا المعتقل، وفي هذه المدة كان أيمن العتوم يفتقد وجود القلم الذي يعتبره صديقه المقرب ولا يمكنه العيش بعيدا عنه بوصفه كاتبا وشاعرا ومبدعا، وذلك من أجل أن يكتب ما يجول في خاطره. فتتضح له صعوبة الحياة بلا أوراق ولا أقلام ليلجئ بعد ذلك إلى تدريب عقله على توليد الكلمات ثم حفظها بشكل مقطوعات، وظل على هذا الحال حتى توافر له القلم.

ضاقت بأمن العتوم الزنازين وقتلته الوحدة واستبدت به عتمة المكان، ونهشت جسده وخزات البرد، وتعرض لأنواع من العنف النفسي والجسدي أيضا وهم يحاولون استنطاقه في التحقيق بالسؤال عن ماهية الجهة التي تقف وراءه، فقضى أيام على هذا الحال قبل أن تعقد له محاكمة عسكرية، تمسك الكاتب بموقفه ولم ينكر التهم الموجهة إليه وهي تهمة الشعر وإطالة اللسان، فحكم عليه بالسجن لثمانية أشهر مع مصادرة وقائع الأمسية الشعرية.

تعرف أيمن العتوم أثناء تنقله بين السجون على أنواع شتى من السجناء، حيث تعرف على الجماعات الإسلامية، وجماعة حزب التحرير، وجماعة بيعة الإمام، إضافة إلى السجناء الجنائيين من القتلة ومدمني المخدرات وغيرهم، وقد كان حذرا في التعامل معهم.

عاش الكاتب أجواء السجن بما فيها صخب الفوضى واللاإنسانية، حاول أن يستغل فيها وقته بالمطالعة والكتابة خاصة بعد حصوله على القلم الذي كان مفتقدا عزيزا عليه، حيث بدأ بكتابة القصائد داخل السجن وقد أخرجت هذه القصائد من السجن عن طريق أحد أقاربه عندما زاره، وتمت العملية أمام كاميرات المراقبة على أنها تبادل للأوراق النقدية، أصبح أيمن صديقا لمكتبة السجن، كما كانت تجلب له الكتب من خارج السجن عبر ذويه.

كان أيمن العتوم قوي الجسد لكن بعد دخوله إلى السجن تقلص وزنه وأصبح هزيل الجسد وعدها ميزة من مميزات السجن وذلك لأنه كان يعاني وزنا زائدا.

كان السجناء يتلهفون لأخبار العفو الملكي التي كانت تنتقل بين السجناء، إلا أن أيمن كان يرفض فكرة العفو كما يرفض الحكم عليه بعام من السجن.

زادت المضايقات على السجناء من طرف إدارة السجن، وقلت الزيارات لأيمن العتوم في الفترة الأخيرة من سجنه مما زاد من تدهور حالته النفسية، فواجه ذلك بالإضراب عن الطعام مع مجموعة من المساجين مطالبا بحقوق السجناء، حتى إنه واجه السجن الانفرادي وحيدا، إلا أن ما مر به أيمن داخل السجن لم يكسره ولم يحطم آماله وطموحاته بل صنع منه شخصا أنضج وأوعى، وقد عبر عن ذلك في روايته من خلال أبيات شعرية كتبها في آخر الرواية حيث يقول فيها:

خرجنا من السجن شم الأنوف كما تخرج الأسد من غابها

نمر على شفرات السيوف ونأتي المنية من بابها

لتعلم أمتنا أننا ركبنا المنايا حنانا بها

.

قائمة المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم

أولا: المصادر

1- أيمن العتوم، يا صاحبي السجن، دار فارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط02، 2013م.

ثانيا: المراجع:

أ/ المراجع بالعربية:

1- إبراهيم رماني، إضاءات في الأدب والثقافة والإيديولوجيا، دار الحكمة للنشر، الجزائر، دط، 2009.

2- إسماعيل صبري عبد الله، المثقف الراهن والمأمول، ضمن كتاب مؤنسات الثقافة، بسير خلف، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، دط، 2013م.

3- أمين الزاوي، صورة المثقف في الرواية المغاربية-الفهرس والممارسة-، دار النشر راجعي، الجزائر، دط، 2009م.

4- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط01، 1998م.

5- جمال مُحَمَّد طعان، المثقف والديمقراطية التعبيرية، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ط01، 2002م.

6- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1990م.

7- رجب عبد الحميد، استراتيجية التعامل مع الأزمات والكوارث، دار الكتاب الجامعي، الإمارات المتحدة، ط01، 2014م.

8- رضوان عبد الله، البنى السردية (نقد الرواية)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، ط، 01، 2003م.

9- زكي العليو، المثقف مداخل التعريف والأدوار، مؤسسة الانتشار العربي لبنان، ط01، 2009م.

10- زكي نجيب محمود، هموم المثقفين، دار الشروق، بيروت، دط، 1998م.

11- سعاد عبد الله العنزي، صورة العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط01، 2010م.

12- سعد فهد الذويخ، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط01، 1430هـ، 2009م.

13- سعد مُحَمَّد رحيم، المثقف الذي يدسّ أنفه (مقاربات في مفاهيم الأنسنية)، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط01، 2016م.

14- سماح إدريس، المثقف العربي والسلطة (بحث في روايات التجربة الناصرية)، دار الأداب، بيروت، ط01.

15- طه الوادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية لونجمان، مصر، دط، د ت ن.

16- عبد الرحمن بن زيد الزنيدي، المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ط01، 2009م.

17- عبد السلام الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة 1882-1952، دار الحداثة للنشر والتوزيع، د ب ن، ط01، 1985م.

18- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، مصر، دط، 1992م.

19- عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود (السيرة الذاتية في المغرب)، دار إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2000م.

20- عبد الله الركيبي، احاديث في الأدب والثقافة، دار الكتاب العرب، د ب ن، د ت ن.

21- علي حرب، الفكر والحدث (حوارات ومحاور)، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط01، 1997م.

22- علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط03، 2004م.

23- غادة طويل، الثقافة العربية جدور وتحديات، KB.Com للنشر والتوزيع، د ب ن، دط، 2007م.

24- غالي شكري، إشكالية الإطار المرجعي للمثقف والسلطة (الثقافة والمثقف في الوطن العربي)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط01، 1992م.

25- فاضل أحمد القعود، جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي (دراسات نصية)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأدرن، ط01، 1433هـ، 2012م.

26- لونيس بن علي، إدوارد سعيد من نقد خطاب الاستشراق إلى نقد الرواية الكولونيالية، دار ميم للنشر، ط01، الجزائر، 2018م.

27- مُحَمَّد الباردي، عندما تكتمل الذات (السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث)، منشورات اتحاد الكتاب الرعب، دمشق، دط، 2005م.

28- مُحَمَّد الخباز، صورة الآخر في شعر المتبني (نقد ثقافي)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنا، ط01، 2009م

29- مُحَمَّد الشيخ، المثقف والسلطة (دراسة في الفكر الفلسفي الفرنسي المعاصر)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط01، 1991م.

30- مُحَمَّد حسن البرغشي، الثقافة العربية والعولمة (دراسة سوسيولوجية لآراء مثقفين العرب)، دار الفارس للنشر، عمان، ط01، 2007م.

31- مُحَمَّد رجب الباردي، شخص المثقف في الرواية العربية المعاصرة، الدار التونسية للنشر، بيروت، دط، 1993م.

32- مُحَمَّد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية (دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1999م.

33- مُحَمَّد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية (محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط01، 1995م.

34- مُحَمَّد غالب سليقه، إدراة الأزمات الدولية في ظل الأمن الجامعي، منشورات الحلبي الحقوقية للنشر، بيروت، لبنان، ط01، 2014م.

35- مُحَمَّد كامل الخطيب، الرواية والواقع، دار الحداثة للنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 1987م.

36- مُحَمَّد معتصم، الرؤية الفجائية في الرواية العربية نهاية القرن العشرين، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2004.

37- محمود أمين الزاوي، أربعون عاما من النقد التطبيقي (البنية والدلالة في القصة والرواية العربية المعاصرة)، دار المستقبل العربي، القاهرة، دط، 1994م.

38- محمود مُحَمَّد أملودة، تمثيلات المثقف في السرد العربي الحديث (دراسة في النقد الثقافي)، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط01، 2010م.

39- مصطفى حجازي، الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2005.

40- ممدوح فرّاج النابى، رواية السيرة الذاتية في مصر (دراسة في التأهيل والتشكيل)، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ط01، 2011م.

41- نصيف نصّار، منطق السلطة، مدخل إلى فلسفة الآمر، دار أمواج للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، 1995م.

42-هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط01، 2013م.

ب/ المراجع الأجنبية:

1- إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: مُحَمَّد العناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط01، 2006م.

2- جون بول سارتر، دفاعا عن المثقفين، تر: جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، دط، 1973م.

3- جيوفري نويل سميث، كينتين هور، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، تر: فاضل جتكر، دار كنعان، سوريا، ط01، 1991م.

4- فيليب لوجون، السيرة الذاتية (الميثاق والتاريخ الأدبي)، ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1994م.

5- لالاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفي، المجلد الأول (A-G)، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م.

6- ماكل بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، مركز الفكر، دمشق، سوريا، ط04، 1984.

ثالثا: المعاجم:

1- ابن منظور، لسان العرب، مج09، المادة (ت، ق، ف).

2- أنيس إبراهيم وآخرون، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط04، 2005م.

3- جمال الدين أبي الفضل مُحَمَّد بن مكرم ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، مادة: أزم، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط04، 2007م.

4- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: داوود سلوم وآخرون، مادة (ث،ق،ف)، مكتبة لبنان، ط01، 2004م.

5- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، لبنان، ط01، 2003م.

6- المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، تح: مُحَمَّد عثمان، مج1، باب التاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

7- محمود مُحَمَّد الطناجي، من أسرار اللغة في الكتاب والسن، معجم لغوي ثقافي، دار الفتح للدراسات والنشر السعودية، ط01، 2008م.

رابعا: الرسائل الجامعية:

1- غنية بوحرة، المثقف والصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة لأحميدة عياشي نموذجا، رسالة ماجستير، جماعة لخضر باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2011-2012م.

2- فادي علان، علي جمعة، دور المثقف في ثورات الربيع العربي وعلاقته بالسلطة السياسية، مذكرة ماجستير في التخطيط والتنمية السياسية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2015م.

خامسا: المجلات والصحف:

1- إسعاف حمد، المثقف العربي وإشكالية الدور الفاعل، مجلة جامعة دمشق، م30 ع 03-04، 2014م.

2- حارش نسيمة، التمثيل الثقفاي للآخر في كتابات الجاحظ، مجلة آفاق العلوم، جماعة الجلفة، العدد العاشر، جانفي، 2018م.

3- صباح مُحَمَّد جاسم، مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها، مجلة ديالي، العدد 44، كلية العلوم الإسلامية، جامعة ديالي، العراق، د ت ن.

نضال مُحَمَّد فتحي، بلال كمال عبد الفتاح، أزمة المثقف في رواية بقايا الثلج لعصام الموسى نموذجا، دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثالث، 2010م

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

المحتوى	الصفحة
البسملة	
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدمة	أ
مدخل	
1–مفهوم الأزمة	2
أ/لغة	2
ب/اصطلاحا	3
2– مفهوم الثقافة	4
3– مفهوم المثقف	5
أ/لغة	5
ب/اصطلاحا	6
الفصل الأول: تمثل المثقف في الرواية العربية	
أولا: توظيف شخصية المثقف في الرواية العربية	12
ثانيا: أنماط المثقف في الرواية العربية	15
1–المثقف الثوري	15

فهرس المحتويات:

2- المثقف التراثي	17
3- المثقف الإصلاحي	18
4- المثقف الناقد	19
ثالثا: أزمة المثقف في الرواية العربية	20
1- المثقف والسلطة	22
2- المثقف والمجتمع	25
رابعا: صورة المثقف في الرواية العربية	28
1-المثقف المنتمي (الأنا)	29
2- المثقف اللامنتمي (بين جدلية الأنا والآخر)	30
الفصل الثاني: المثقف والأزمة في رواية "يا صاحبي السجن"	
أولا: السير ذاتية في رواية "يا صاحبي السجن"	36
ثانيا: تمظهرات المثقف في الرواية	41
1- المثقف المبدع	41
2- المثقف المعارض	44
3- المثقف المضطهد	47
ثالثا: أزمة المثقف والسلطة (صراع المثقف والسلطة في الرواية)	49
رابعا: أزمة المكان وتشكل الشخصية المثقفة في الرواية	52
خامسا: المثقف وسلطة الكتابة	58

فهرس المحتويات:

خاتمة	63
الملحق	66
قائمة المصادر والمراجع	70
فهرس المحتويات	/

ملخّص:

تعدّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية ارتباطا بالواقع، فهي تعطي تصورات عنه انطلاقا من وقائع وأحداث حقيقية، كما تعتبر وسيلة للتعبير عن كل ما هو موجود في المجتمع، فمن خلالها نكتشف خصائص ومميزات فترات ماضية من حياة الأفراد والشعوب، وذلك باعتبارها تستلهم عاداتهم وحكايا حياتهم المليئة بالتحدّيات والأزمات خصوصا تلك المتعلقة بفئة المثقّفين، لأنّها فئة مهمة وفاعلة في المجتمع لها حضورها الخاص في كافة الحركات والتغيرات الإجتماعية التي تعرفها المجتمعات الإنسانية.

وقد ظهر في الساحة الأدبية كم كبير من الروايات التي عالجت موضوع المثقف والثقافة المجتمعية وأفرزت له حيّزا كبيرا، وذلك بإعتبار انّ الرواية هي وسيلة للتعبير عن صوت المثقف ونقل الوقائع والظروف التي مرّ بها هو وشعبه عن طريق كتاباته وإبداعاته، ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لرواية "يا صاحبي السجن" وذلك من أجل تسليط الضوء على شخصية المثقف في هذه الرواية وتصوير الأحداث التي عاشها والتّعرف على العلاقة القائمة بين السلطة والمثقف والأزمة التي يعيشها هذا الأخير في ظل رقابة السلطة ومدى قدرته على ممارسة إبداعه رغم القيود المفروضة عليه.

ومن خلال دراستنا توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- كذلك غلب عل أسلوب الروائي أسلوب السرد بضمير المتكمل "أنا" في معظم أجزاء رواية (يا صاحبي السجن).
- تنوعت توظيفات شخصية المثقف في الرواية العربية بسبب الظروف التي عايشها الكاتب، وذلك لأنّه يستنبط أفكاره ومعالمه من محيطه الخارجي.
- استطاع الروائي الجمع بين الواقع والمتخيل.
- استطاع الكاتب أيضا التعبير عن سيرة ذاتية في قالب سردي مليء بالوصف والحوار والحركية والمواجهة مع لغة قوية وهادفة، فكان هذا المنجز السردي إضافة نوعية للواقع والحقيقة والإبداع الروائي المتجدّد.

الكلمات المفتاحية: المثقف، أزمة، السلطة، أيمن العتوم، يا صاحبي السجن